الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الرحمان ميرة-بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مطبوعة علمية بيداغوجية

محاضرات في مقياس المدارس اللسانية
السنة الثانية ل م د تخصص لسانيات عامة

إعداد الأستاذة:

تسعديت لحول

السنة الجامعية: 2021 -2022

مقدمة:

تعدّ هذه المحاضرات خلاصة ممارسة ميدانية لمقياس المدارس اللسانية، وقراءة واطلاع على مراجعه الغربية والمترجمة. وقد حاولت جمعها وتنسيقها وفق منهج علمي، إذ تتماشى والمقرّر الدراسي للسنة الثانية في شعبة الدراسات اللغوية. فهي تضم مجموعة محاضرات بمادة علمية سيجدها الطالب _ إن شاء الله _عونا لفهم المقياس تعميق معارفه اللسانية ورصد أعلامه وجهودهم وبوجهات نظر مختلفة محاولين تذليل الصعاب المتعلقة بتعدد التسميات للمفهوم الواحد من المدرسة الأوروبية إلى الأمريكية واختلاف طرق التطبيق والتحليل بينها. وتسعى هذه الدروس إلى محاولة تقديم فكرة عامة للطالب حول تطور التفكير اللساني الغربي بمدارسه المختلفة كل مدرسة حسب خصوصياته ومبادئها بداية بالمدرسة البنيوية حتى المدرسة الأمريكية والنحو التوليدي التفريعي.

والله ولي التوفيق

مفردات المقياس

1 . مدخل المدرسة/الحلقة / النظرية.

2 . لسانيات دي سوسير

3 . حلقة موسكو:

4 . مدرسة براغ 1

5 . مدرسة براغ 2.

6 . مدرسة كوبنهاغن

7. المدرسة الوظيفية الفرنسة

8 . المدرسة السياقية

9 . المدرسة التوزيعية.

10 . المدرسة التوليدية التحويلية 1

11 . المدرسة التوليدية التحويلية 2

12 . المدرسة الوظيفية الأمريكية

13 . مدرسة أكسفورد

14 . المدرسة الخليلية

المحاضرة الأولى.

مدخل اصطلاحي: مفهوم الحلقة، النظرية والمدرسة.

. مفهوم الحلقة في اللغة:

جاء في معجم "المعاني الجامع":[1] **حَلَقَة** وجمعها: **حَلَقات وحَلْقات وحِلاَق وحَلَق وحِلَق.**

***الحَلْقَةُ:** كلُّ شيء استدار، كَحَلْقَةِ الباب والذَّهب والفضّة.

***حَلْقَة القوم:** دائرتُهم. ***حَلْقَةُ الماشية:** سِمَةٌ مدَوَّرة. ***حَلْقة الأنف:** حلقة تُوضع في أنف حيوان. ***حَلْقَةُ الأُذُنِ:** القُرْطُ. ***حلقة الباب:** ما يُعَلَّق عليه ليقرع بها.

***حَلْقة اتِّصال / حَلْقة وصل:** ما يصل بين طرفين أو أكثر.

ومنه جاء **مفهوم الحلقة في الاصطلاح**، فنقول:

***حَلَقَة دراسيّة:** مجموعة صغيرة من الطلاب المتخصِّصين، منصرفة إلى دراسة موضوع من الموضوعات.

***حَلَقة بحث:** مجموعة صغيرة من الطَّلبة الخريجين من جامعة أو مدرسة مُنخرطة في البحث العلميّ أو الدراسة المكثَّفة تحت إشراف أستاذ معيَّن،

[1] – باسل زيدان، محمد غوادره، زياد غانم، عزمي الأخرس، كايد شحادة ...: المعاني الجامع: ط 1، ص 314.

2 . مفهوم النظرية في اللغة:

. كلمة " **نظريّة**" وجمعها: "**نظريّات** "**مشتقة** من **الكلمة الثلاثيّة** "**نَظَرَ**"، ومعناها التأمّل أثناء التفكير بشيء ما.

. وجاء في معجم "المعاني الجامع" أنها قضيَّة تُثْبَت صحَّتُها بحجَّةٍ ودليل أو برهان.

. وهي بعض الفروض أو المفاهيم المبنيّة على الحقائق والملاحظات تحاول توضيح ظاهرة مُعيَّنة.

. أو هي رأي أو اجتهاد يدلي به أحد العلماء ويحاول إثباته بالبراهين.

. مفهوم النظرية في الاصطلاح: تُعرف النظرية بقواعد ومبادئ تُستخدمُ لوصفِ شيء ما، سواء أكان علمياً، أم فلسفياً، أم معرفياً، أم أدبياً، فهي دراسة لموضوع معين دراسة عقلانيّة ومنطقيّة، وذلك من أجل الوصول إلى النتائج التي تساهمُ في تعزيز الفكرة الرئيسيّة التي تُبنى عليها النظريّة.وقد تثبتُ هذه النظرية حقيقة معيّنة، أو تساهمُ في بناءِ فكر جديد،

3 . مفهوم المدرسة لغةً[2]:

. جاء في "المعجم الوسيط" أنّ المدرسة مصدر، والكلمة **مشتقة** من **الفعل الثلاثي** "**دَرَسَ**"،

[2] **مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، ط 4، مادة درس.**

***ودرس الشيء** يعني جزَّأهُ، *ويُقال: **درس القمحَ:** أي طَحَنَهُ، ***ودرس الدرس** يعني جزّأ الدرس ليَسْهُل تعلّمُه على أجزاء، *فيقال: **درس الكتاب، يدرسه دراسة،** بمعنى أقبل عليه، وكرّرَ قراءَتَه ليحفظه ويفهمه. ***والمدرسة:** مكان الدرس والتعليم. *ويقال: **هو من مدرسة فلان:** على رأيه ومذهبه.

. **وجاء في معجم** "المعاني الجامع" أنّ **المَدْرَسَةُ:**[3] جماعةٌ من الفلاسفة أَو المفكرين أَو الباحثين، تَعْتنق مذهبًا مُعيَّنًا، أو تقول برأْي مشترك.

* **ويُقال فلانٌ من مدرسةِ فلان** يعني ذلك أنّه على رأيه ومذهبه.

. ومنه جاء **المفهوم الاصطلاحي** للكلمة التي تطلق على مكان التّعليم والتّدريس،

. و**المدرسة اللسانية أو اللغوية** هي: مجموعة من المفاهيم تتبناها طائفة من اللغويين، الذين تختلف أوطانهم وجنسياتهم بحيث تجمعهم وجهة نظر واحدة ومنهج واحد في معالجة الظواهر اللغوية.

. **ولا تعدّ المدرسة مدرسة** إلا إذا:

* حددت رؤى وأهدافا ثابتة.

*واتخذت لنفسها أصولا وأسسا مخصوصة.

[3] – باسل زيدان، محمد غوادره، زياد غانم، عزمي الأخرس، كايد شحادة ...: المعاني الجامع: ط 1، مادة درس.

* ورسمت منهجا واضحا تسير عليه في معالجة المسائل اللغوية.

. و**أول مدرسة لسانية حديثة** كانت **المدرسة البنيوية،** والتي قامت على أفكار"**فرديناند دي سوسير**

. وهي منطلق المدارس اللسانية الحديثة.

. و**البنيوية** في أساسها منهج يأخذ اللغة على أنها بناء أو هيكل أشبه بالهيكل الهندسي،

. الذي تتشابك وحداته ذات الاستقلال الداخلي، والتي تتّحد قيمها بالعلاقات الداخلية بينها

. وذلك بمعزل عن العناصر الخارجية، كصاحب النص المنطوق أو المكتوب والسياق الخارجي أو غير اللغوي.

. هذا يعني أنّ **تحليل أيّ نص لغوي يعتمد على نظرتين،** وهما:

*استقلاليته عن أيّ ملابسات أو ظروف خارجية.

* تشابك وحداته وترابطها فيما بينها داخليا.

. وعليه **يدرس البنيوي اللغة في ذاتها ولذاتها.**

. **والبنيوية** بدأت مع "**سوسير**" **فهو مؤسسها،** ثم تطورت في **أوروبا وأمريكا** في الوقت ذاته دون أن يكون هناك اتصال بينهما.

. وهناك **نمطان أساسيان في البنيوية في أوروبا** وهما:

* **مدرسة جنيف** ويمثلها "**سوسير**" وتلامذته:

"**شارل بالي** Charles Bally" "**ألبير سيشهاي** Albert Sechehaye "

* **المدرسة الوظيفية** والتي ظهرت مع "**حلقة براغ**" وتطورت مع **الفرنسي** "**أندري مارتيني** André Martinet".

* **المدرسة البنيوية الأمريكية** مع "**بلومفيلد** Leonard Bloomfield"، وتسمى **المدرسة التوزيعية**

. ثم ظهرت **مدرسة كانت ثورة على البنيوية** ككل وهي **المدرسة التوليدية التحويلية** مع " **تشومسكي**Noam Chomskey ".

رغم تواجد المدارس في اللّسانيات، وهو الأمر الذي يُوحي بالاختلاف والمؤدّي إلى نوعٍ من التشتّت في الآراء والتذبذب في النظريات التي يغلب عليها هامش الجدال، فبإمكان تصوّر وتصوير صرحٍ للّسانيات (العلم)، وذلك لكي نسبق بتعريف النزر الممكن من الشيء الذي يدور حوله النقاش؛ ولإقامة صرح أيّ علم لا بدّ من تحديد دائرة اختصاصه، ومجال دراسته، واللّسانيّات علم يهتمّ باللّسان بوصفه ظاهرة بشريّة،ف "للسانيات هي الدراسة العلمية

للغة" [4]ويسعى إلى الإحاطة بخصائصها العامّة، وذلك بدراسة اللّغات المتنوّعة الّتي تُستعمَل في مختلف المجتمعات كأداة تواصل، وكأنظمة من الأدلّة الّتي تُعقد بينها علاقات تتميّز بها كلّ لغة عن الأخرى.

وكثيرًا ما تُطلق تسمية (اللّسانيات) على ما يُدعى *اللّسانيّات العامّة*، وذلك منذ أوائل القرن العشرين ولاسيّما بعد صدور دروس اللّسانيّات العامّة لـ" *فرديناند دي سوسير*،(Ferdinand De Saussure) لكن الدراسة العلمية للغة لم تبدأ في هذا القرن، و اللّسانيات لم تكن اختراع جديد لا صلة له بالماضي، بل على العكس تماما. فالعالم نوم تشومسكي Noam Chomsky، وهو أكثر اللّسانيين المحدثين تجديداً في كثير من النواحي، يؤكِّد العلاقة بين عمله وعمل فيلهلم فون همبولدت Wilhelm von Humboldt، وأعمال الفلاسفة العقلانيين في القرن السابع عشر في فرنسا.

وتّسمية اللّسانيّات وُضعت كمقابل للمصطلح الفرنسيّ (Linguistique) وقد تداول الدّرس اللّسانيّ العربيّ تسميّات أخرى غير هذه كـ (علم اللّغة)، (الألسنيّة)، (اللّغويّات)، وهي قضية ثانوية في إشكالية المدارس اللّسانية.

[4] – أحمد مومن اللسانيات، النشأة والتطور، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية – الساحة المركزية – بن عكنون – الجزائر 2005، توطئة، ص 5.

. موضوع اللّسانيّات:

تشتغِل اللّسانيّات على موضوعٍ معيّن، وهو موضوعٌ مشترَك تنافسها فيه عدّة فروع معرفيّة إذ" يرى سوسور أنّ الظاهرة اللغوية تشتغل على ثلاثة مصطلحات أساسية المقابلة وهي اللسان (Langage واللغة **Langue** والكلام **Parole**) وقد اكتسبت هذه المصطلحات صبغة عالمية في اللسانيات الحديثة"[5]

. اللسان Langage**:** *"**يدل** اللسان على النظام العام للغة.... ويتكون من ظاهرتين مختلفتين اللغة والكلام وفي هذا الصدد يقول سوسير لا ينبغي الخلط بين اللغة واللسان، فما اللغة إلا جزء محدد منه بل أساسي "*[6] *وهو* قدرة فطريّة مُمكِّنة للتّواصل، متوقِّفة على الإنسان' ***أي*** هي تلك الإمكانيّة الفطريّة الّتي مُكِّن بها الإنسان والمُتاحة له لتوظيف مجموعة من العلامات. وإذا قدِّر تمييز الإنسان عن الحيوان بناءً على هذه الخاصية (القدرة على الاستيعاب والتّبليغ) فهي ماثلة بالمقارنة بينه وبين هذا الأخير الأعجميّ.

ويُقصَد بالفطرة مِن جهة ما هو موروث، ومِن جهة أخرى ما هو طبيعيّ في مُقابل الثّقافيّ، أي كلّ ما يتعلّق بالجانب الذّهنيّ" العصبيّ الدّماغيّ"، والنّفسيّ والوجدانيّ للّغة. وهي كلّ ما يشمل المهارة الكفيلة بالتّدليل وإقامة التّفاهم، المساعدة على استيعاب الواقع الخارجيّ بكلّ أبعاده، وقد كرّم وشرّف بها بنو آدم وذلك بالنّظر إلى انعدامه لدى الحيوان.

---

[5] أحمد مومن، المرجع السابق، ص 123.

[6] – المرجع نفسه، ص 123.

. اللغة Langue: *وهي الر*صيد المكتسَب، وأداة تواصل، ووضع مكوّن من نظام قواعد يشترك فيها أفراد جماعة لغويّة محدّدة، بمعنى أنها المحصول المستودَع في الذّاكرة الجماعيّة، والمنتوج المكتسَب بالتّعامل وعن طريق الاحتكاك بباقي أفراد المُجتمع، وأداة تواصل بين هؤلاء الأفراد، ووضع منتظم من الأدلّة ومترابط بعلاقات متعارف عليها داخل النّظام ذاته. ومسخَّر من أجل التّبليغ، وإقامة الاتّصال بالغير، "فاللغة في نظر سوسور واقعة اجتماعية وخصوصياتها ليست مجردة بل متواجدة بالفعل في عقول الناس "[7] بهذا فهو قانون يتضمّن سلسلة مِن القواعد المتشابكة المتظافرة مشكِّلةً مفهوم النّظام، وذلك باعتباره نظامًا من الأدلّة الصّوتيّة في الأساس وشبكة من الاختلافات الكائنة بين تلك الأدلّة، وهي ذات طابع اجتماعيّ، تدلّ على ما هو مشترك بين أفراد جماعة معيّنة، وهي المفروضة من قبل هذه الأخيرة، ممّا يقيم صعوبات جمّة أمام أيّ محاولة ترمي إلى إحداث أيّ تغيير.

. الكلام Parole: *وهو الا*ستعمال الفرديّ للوضع اللغويّ، والأداء الشّخصيّ لذلك الوضع (المتعارَف عليه) من قبل المتحدِّثين، يمتاز بالتّنوّع، وتتحكّم فيه إرادة وقصديّة أو لا شعوريّة الشّخص، علمًا أنّ تلك التّنوّعات والتّجليّات هي الّتي تمنح اللّغة *(*Langue*)* طابعها الملموس. أي هو الجانب الفعليّ للّغة.[8]

---

[7] أحمد مومن اللسانيات النشأة والتطور، ص 123

[8] –أحمد مومن، المرجع نفسه، ص 132

بين (اللّغة) و(الكلام) علاقاتٌ شتّى، يمكن حصر إحداها في ما يمكن أن يكون بين ما هو نظريّ وما هو تطبيقيّ، فهكذا تبدو الخدمات الّتي يقدّمها الكلام للّغة جدّ متميِّزة وذات قيّم معتبرة، والعكس بالعكس، وفي هذا الشّأن يرى فلاسفة العلوم أنّه لم تكن هذه الأخيرة (العلوم) لتبلغَ الذّروة في تقدّمها لولا ارتباطها الوثيق بالتّجريب، بل يعود الفضل، في تنامي مادّتها وتكوين رصيدها النّظريّ، إلى انطلاقها من الميدان، ولا ينفكّ هذا الأخير يُختبر ويُشاهد مهما قيل عن أولويّة البحث النّظريّ على البحث التّطبيقيّ، بل يتبادلان التّأثير والتّأثّر.

غير أنّ اللّسانيّات جعلت اللّغةَ موضوعًا للدّراسة . كما سبق . وترفض الإسقاطات الّتي تأتيها من الخارج، لهذا اشترطت أن يمتلك منهجًا بإمكانه التّكيُّف وهذا الموضوع، لكن تعدّد المناهج واختلاف الرؤى قد حصل تاريخياً ولا يزال أمراً متوقَّعاً في مجال اللّسانيات؛ وقد انجرَّ عن هذا الطابع التعدُّدي نشوء مدارس لسانيّة، وقبل إطلاق اسم *مدرسة* على أيّ جماعة يراد بها أن تُصبَّ في قالب المدرسة، لا بد من شرطين، وهما:

*** أن يتحقّق وجودُ الرّائد أو الأستاذ الذي يرسم الخطَّ ويُحدِّد المنهجَ، والِأتباع والمريدين الذين يتبنّون المنهجَ ويعملون على تطويره والخطّ الفِكري الذي يربط الجميع.

*** أن نُدخِل في المدرسة كلَّ مؤيِّدٍ أو متّفِق في الرّأي مهما كان موطِنه، ونُخرِج كلَّ مخالِف، وإن كان منتسِباً إلى المنطقة بالميلاد أو الإقامة.

وبهذا المفهوم لمصطلَح المدرسة لم يتردّد أحمد مختار عمر مثلاً من إطلاقه على *مدرسة براغ اللّغويّة* ومِن إدراج عددٍ مِن اللّغويّين الروس أو غيرهم تحت لوائها، لأنّ جذورَها ليست محليّة فقط بل عالميّة، فـ " جاكوبسن Jakobson" روسي وكذلك كان عددٌ آخر مِن أعلام هذه المدرسة إمّا هولونديين أو فرنسيين. ولعلّ تعدّد أصول هذه المدرسة وتنوّع جذورها كان مِن أهمّ العوامل التي أعطت أعمالَها اللّغويّة خصوبة في التفكير، وتفتّحاً في النّظرة، واتّساعاً في الأفق، ورحابة في التصوّر قلّما تيسّرت لغيرِهم مِن اللّغويين، ولكن مع الاحتفاظ بشخصيتها المستقلّة، ومِن غير أن تفقد رؤيتها لأهدافها في تحليل الواقِع اللّغويّ.

المحاضرة الثانية

لسانيات دي سوسير.

إنّ البنيوية كلمة مشتقة من " البنية"، أي " ما بنيته" وهي الهيئة التي بني عليها، وهي بدورها مشتقة من الفعل "بنى"، الذي يدل على التشييد والعمارة،[9] وهذه الكلمة في الأصل تحمل معنى المجموع والكل المؤلف من ظواهر متماسكة، يتحدّد كل منها من خلال علاقاتها بغيرها، ، وبغضّ النّظر عن الاختلافات المصطلحيّة بين المدارس والنظريات اللسانية المتنوعة، فإنها جميعا تتفق على أنّ البنية اللّسانيّة تختص بنظاميّة أحداث اللّغة، ووجود المقولات (النحويّة)، وأسبقيّة المَجموع (= النظام) وأهميّته على الوحدة، وأخيراً الاختلافات والتشابهات التي تتجاذب البنية من لغة إلى أخرى، تُشتق كلمة (بنيّة) في اللغة العربية من الفعل الثلاثي (بنى) وتعني البناء أو الطريقة.ويرى ليفي ستراوش أن البِنيَّة مجرّد طريقة أو منهج يمكن تطبيقها على أي نوع من الدراسات تمامًا كما هي بالنسبة للتحليل البنيوي المستخدم في الدراسات والعلوم الأخرى[10].

أما البِنيَّة عند دي سوسر؛ فهي التي لا يمكن تعريفها إلاّ بالرجوع إليها بوصفها بناء أو نظامًا؛ أي الرجوع الى علاقاتها الداخلية (الدال والمدلول) بدلاً من علاقاتها الخارجية (سياق اجتماعي تاريخي

---

[9] – مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، ط 4، ص 320.

[10] – ينظر ابراهيم السعافين وعبد الله الخياص، منهاج تحليل النصّ الأدبي. ط 1، منشورات جامعة القدس المفتوحة 1993، ص 68، 69.

وهذا المصطلح استعملته كذلك علوم كثيرة مثل الكيمياء والاقتصاد والرياضيات، فهو مفهوم علمي استطاع به الإنسان أن يحصر الجزئيات، على حدّ قول عبد الرحمن حاج صالح. إنّ البنيوية مذهب من المذاهب التي سيطرت على المعرفة الإنسانية في الفكر الغربي، مؤدَّاه الاهتمام أولاً بالنظام العام لفكرة أو لعدة أفكار مرتبطة بعضها ببعض على حساب العناصر المكوّنة له. ويعرف أحيانًا باسم البنوية أو البنائيَّة أو التركيبيَّ، وقد امتدت هذه النظرية إلى علوم اللُّغة عامة وعلم الأسلوب خاصة حيث استخدمها العلماء أساسًا للتمييز الثنائي الذي يعتبر أصلاً لدراسة النص دراسة لغوية، ويعد العالم اللغوي السويسري فرديناند دي سوسير مؤسس المنهج البنوي الذي انطلق منه علم اللغة المعاصر، وذلك في بدايات القرن العشرين، وإليه يعود الفضل في إرساء اللّسانيات على دعائم علمية ثابتة، عندما أشار إلى أن اللّسانيات تُعنى بصورة أساسية بدراسة عمل اللغة وليس دراسة تطورها، واعتبر الدراسات اللغوية التاريخية ثانوية إذا قورنت بالدراسة اللغوية الوصفية، التي دعا بصورة واضحة إلى إقرارها، وبهذا يُعدُّ سوسير رائد الدراسات اللغوية الوصفية الحديثة، ومؤسسًا للتفكير البنيوي أو البنيوية في اللسانيات الحديثة.

لكن المنهج البنيوي اكتسب انتشارًا وعمقًا على يد عالم الانثروبولوجيا الفرنسي "كلود ليفي شتراوس"، الذي وجه النقد إلى الفلسفة الوجودية والوضعية المنطقية والفرويدية، وهاجم الماركسية وأفكارها الأساسية، مثل الصراع الطبقي والحتمية التاريخية، ونادى بالتحول من تحليل صراع الطبقات إلى تحليل البُنَى الأساسية، ورفض التسلط العرقي في التفسير

الأنثربولوجي والتطور في خط مستقيم، كما رفضت البنيوية استخدام التفسير التاريخي باعتباره أداة منهجية[11].

والحقيقة أن مصطلح البنيوية ليس جديدًا على المعرفة الإنسانية؛ فمنذ القرن السابع عشر الميلادي استخدم المصطلح في مجال علم الأحياء والهندسة والعمارة وعلم النبات وعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء، ويقصد بالمصطلح في كل هذه العلوم العلاقات الداخلية التي تكون الكل، أما في الجيولوجيا فيدل المصطلح على البنية الداخلية للكرة الأرضية. وفي العصر الحديث شمل المصطلح كل فروع المعرفة وامتد إلى علم النفس :بناء الشخصية والتحليل النفسي: بناء الخلق وعلم الاقتصاد: البناء الاقتصادي وعلم اللغة: بناء الجملة والكلمة، ويعني البناء في هذه العلوم ترابط الأجزاء في وحدة متكاملة، وهي شيء ثابت ثباتًا نسبيًا ودائم.

وظهرت البنيوية في الغرب في مجال اللّسانيات وكان الدافع إليها تعذر دراسة اللغات الهندية والإفريقية والشرقية والأوروبية دراسة مقارنة، ومن ثم وجد اللغويون أن عليهم دراسة اللغة من داخلها أي دراستها دراسة بنيوية بمنهج موضوعي.

وكان ذلك أيضاً بدافع الانتقال باللّسانيات من النظرة التاريخيّة إلى النظرة الوصفيّة البنيوية، لأنّ الالتفات إلى بنية اللّغة يقتضي من الباحث لا الإمساك عن كل اعتبار

[11] البنائية بين العلم والفلسفة " مجلة أقلام" – عدد 4 س 13 – جانفي 1978 – ص 12

تاريخي، بل التمييز الصريح بين هذا الاعتبار وبين النظر في هيكل اللّغة في وقت معيّن أي بصرف النظر عن العامل الزماني وأحداث التطوّر.

والبنيوية في المعنى العام تعرض منهجًا تحليليًا يفترض أن الظواهر التي تخضع للملاحظة هي حالات خاصة لمبادئ عامة تحدد العلاقات بين عناصر البناء؛ فالبنيوي لا يحلل الظواهر التي تخضع للملاحظة ولكنه يفترض وجود علاقات هامة وكامنة تؤدي إلى تكون الكل المعُقَّد الظاهر لنا، أي يهتم بصورة العلاقات ولا يهتم بالمضمون.

وظهرت أعمال كثيرة تأثرت بنموذج التحليل البنيوي في علم النفس والتاريخ والنقد الأدبي وعلم الأديان وعلم الاجتماع وعلم اللغة، والعامل المشترك بين كل هذه الأعمال أنّ البنيويين يؤكدون ضرورة البحث عن كيفية عمل العلاقات التي تؤدي إلى انتظام الظواهر وضرورة معرفة القوانين التي تحكمها، فالموضوعات التي تستحق الدراسة هي الكليات، والإسهام الأكبر للبنيوية هو أنها أظهرت التقارب بين المذاهب الفكرية وحطمت الفواصل بين العلوم الإنسانية وولَّدت الطموح إلى تفكير شامل حول أهمية العلوم الإنسانية.

وسيطرت البنيوية على ساحة الفكر والمعرفة الإنسانية مدة ثلاثة عقود إلا أن الفكر الإنساني متجدد باستمرار ولا يتوقف عند إطار واحد، ولهذا أخذت البنيوية في الانحسار عن المسرح الإنساني ابتداء من الثمانينيات وظهرت مذاهب جديدة تعبر كلها عن خصوبة العقل الإنساني وتبرز حالات القلق التي تسود العالم.

إن البنيوية اتجاه معرفي ظهر مع بداية القرن العشرين وعرف ازدهارا كبيرا وتطورات سريعة بفضل تطور الدراسات اللسانية خاصة مع الباحث ألألسني فرديناند دي سوسير بأبحاثه الجليلة والقيمة في اللسانيات العامة " 1 وقبل التعمق في هذا المجال لابد أن نبحث في أصل كلمة بنيوية ومنها البنية ومنها الفعل بنى ، يبني ، بناءا " وهي كلمة تعني الكيفية التي شيد عليها بناء ما ، وانطلاقا من هذا المفهوم ، أصبحت هذه الكلمة تعني الكيفية التي تنظم بها عناصر مجموعة ما " [12] ومن هذا المنطلق " تعني كلمة بنية مجموعة العناصر المتماسكة فيما بينها بحيث يتوقف كل عنصر على باقي العناصر الأخرى ، وبحيث يتحدد هذا العنصر لعلاقته بتلك العناصر الأخرى . فالبنية هي مجموعة العلاقات الداخلية الثابتة التي تميز مجموعة ما، بحيث تكون هناك أسبقية منطقية للكل على الأجزاء، أي أن أي عنصر من البنية لا يتخذ معناه إلا بالوضع الذي يحتله داخل المجموعة " [13]

من هذا المعنى والمفهوم الخاص بكلمة بنية تم استخراج اسم المذهب البنيوي أو المنهج البنيوي وهو الذي " يتعامل مع الظاهرة موضوع الدراسة كإطار عام وشامل تتحرك في داخله مجموعة من العناصر وفق قواعد و نظام ترابطي داخلي خاص ومميز بشكل بنية مستقلة وقائمة بذاتها " [14]

---

[12]– سالم يفوت، مفهوم الواقع في التفكير العلمي المعاصر، منشورات كلية الأدب – الرباط – د.ت – ص 273.

[13] سالم يافوت، المرجع السابق، ص 198.

[14] – سالم يافوت، المرجع نفسه، ص 189.

فالبّنوية بصفة عامة تعني طريقة جديدة للنّظر إلى الأنشطة الفّكرية والسّلوكية للمجتمع والفرد وربط بعضها ببعض قديمها وحديثها وأن يكون كلّ نشاط في حدّ ذاته نظامًا متكاملاً بقصد الاهتداء إلى النّظام الكوني الأصيل والبّناء الكلّي للعقل البّشري.

المفاهيم البنويّة عند سوسير

ومن أهم المبادئ التي وردت في الفكر السويسري والتي ساهمت بشكل فعال في نشأة الاتجاه البنيوي الأوروبي:

1 . **اللغة مادة البحث اللغوي:** أراد سوسير أن يجعل علم اللسان علما مستقلا عن العلوم الأخرى، **أي** علما له موضوعه الخاص لا يتجاوزه إلى غيره وله منهجه المناسب لموضوعه، واللسانيات هي العلم الذي يقوم بدراسة اللغة كواقع قائم بذاته ولذاته، واستبعاد أيّ شيء يخرج عن حدود بنيتها أو نظامها، واعتبارها وسيلة تعبير وتواصل من حيث وظيفتها الأساسية.

2 . **البعد الداخلي والبعد الخارجي للّسانيات:** فالبعد الداخلي يحتوي على النظام الذاتي للغة، في حين يرتبط البعد الخارجي بتاريخ الشعب المنتفع بها، وبحضارته وبأدبه وبالأبعاد الجغرافية السياسية الخاصة به، حيث يعالج في هذا البعد موضوعات هامة ذكر "دي سوسير" منها:

*** **موضوع الحدود الفاصلة بين اللسانيات وعلم الأجناس** أو الأعرا[15]Ethnologie ، أي العلاقات بين تاريخ اللغة وتاريخ الجنس، الذي يستخدمها وحضارته وثقافته.

*** **العلاقة بين اللغة والتاريخ السياسي**، ومثال ذلك دور الاستعمار في إحداث التغييرات في اللغات.

*** **العلاقة بين اللغة والهيئات المعنية** بالدين والتعليم والأدب، كالكنائس والمدارس والجامعات ومجالس العلماء والأدباء، التي لها دور في تطور اللغة، وهي كلها لا تنفصل عن التاريخ السياسي.

*** **انتشار اللغات وانقسام اللغة** أو اللهجة إلى لهجات والعوامل التي تؤثر في ذلك.

ولقد اعترف سوسير بأهمية العناصر الخارجية، لكن هذا لا يعني عنده أنها ضرورية، وأن الوصف اللغوي لا يقوم بدونها، لكن الفصل بين ما هو داخلي وخارجي أمر حتمي، وأفضل دليل على الحاجة إلى الفصل بينهما، أنّ كلاّ منهما يتخذ منهجا متميّزا، فالبعد الخارجي باستطاعته تقديم معارف مفصّلة، دون أن يدخل في مجال بنية اللغة، فالباحث يجمع وقائع مناسبة عن انتشار لغة ما خارج حدودها، ويبحث عن العوامل التي أنشأت لغة معينة، أما البعد الداخلي فيدرس اللغة ذاتها من أنها نظام له قواعده الخاصة، ويوضّح "سوسير" هذه الفكرة بلعبة الشطرنج إذ باستطاعتنا فصل ما هو خارجي عما هو

[15] - - Dictionnaire critique de la sociologie: Baymond Boudon et François Bourricoud ترجمة سليم حداد: ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر– ط1، 1986، ص 102.

داخلي، فانتقال اللعبة من بلد إلى آخر حقيقة خارجية، أما ما يتصل بوحدات اللعبة وقواعدها فحقيقة داخلية، وإذا ما استخدمنا قطعا من الخشب أو العاج، فلن يؤثر هذا في قواعد اللعبة، أما إذا زدنا أو أنقصنا من عدد القطع، فهذا سيؤثر في قواعد اللعبة.

3 . **الدراسة الآنية والدراسة التاريخية** لقد اعتمد دي سوسير في محاضراته على دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها وهذا ما سمي بالدراسة الوصفية الآنية أي البحث في تاريخها وماضيها وتطورها ألزماني، معتبرا العودة إلى ماضي وتاريخ اللغة لا يفيد ولا يضيف لدارسها ومتعلمها، فالعودة إلى تاريخ اللغة أمر ثانوي لان ما يهم اللساني هو دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها أي نظامها الداخلي من خلال الإلمام والتحكم بقواعدها وخصائصها وقوانينها، وقد اعتمد دي سوسير في البرهان على رأيه هذا بمثال "لعبة الشطرنج" فالاعب الماهر في لعبة الشطرنج ليس بحاجة إلى معرفة تاريخ اللعبة ونشأتها وأصولها الفارسية وتطوراتها وطريقة وصولها إلى أوروبا، فما يهم لاعب الشطرنج بالدرجة الأولى هو التمكن منها ومن قواعد لعبها لتحقيق الفوز، نفسه الشأن بالنسبة للكلمة فمعرفة تاريخ الكلمة لا يفيد في تحديد معناها الحالي.

إن ابتعاد دي سوسير عن المنهج التطوري الدياكروني ورفضه له لم يكن رفضا تعسفيا وعشوائيا وإنما كان نتيجة "أبحاث قام بها اللساني في بداياته الأولى – خلال العشرين من

عمره- حيث كان قد قدم مذكرة بعنوان (ملاحظات حول اللغة الهندو أوروبية)"[16] وقد اعتمد في هذه الدراسة على المنهج التاريخي المقارن ولكن بعد فترة وجيزة تراجع وتخلى عن النتائج هذه الدراسة وذلك لما اكتشفه من نقائص وسلبيات وعيوب هذا المنهج التطوري الدياكروني في دراسة اللغة.

لقد عارض "سوسير" الاتجاه التاريخي، وعارض النحويين الشبان الذين زعموا أنّ الدراسة العلمية هي الدراسة التاريخية وحدها، ورأى بأنهم بالغوا في دراسة اللغة عبر الزمن حتى كادوا يهملون اللغات المعاصرة، لكن "سوسير"، ورغم معارضته هذه، فهو لم يدع إلى إهمال الدراسة التاريخية، إنما كان حريصا أشد الحرص على الفصل بين الدراسة التاريخية والدراسة الآنية.

*** فالدراسة الآنية للّسان وهي دراسة اللسان في وقت معيّن، وهذه الدّراسة تعنى بوصف النّظام اللّغويّ بجزئيّاته، بغض النّظر عن التّحوّلات الّتي يمكن أن تطرأ عليه،

*** أمّا الدّراسة الزّمنيّة فتُعنى بتحوّل هذه البنية عبر الأزمنة، وبالطّوارئ الّتي يمكن أن تطرأ عليها، أو على جزء منها، أي البحث عن قوانين التّطوّر اللّغويّ وعن أسبابه.

إنّ للدّراسة الآنية عند "سوسير" الأولويّة في الاهتمام فهي تمثّل المرحلة الأولى الأسبق، فهل يُعقل أن ندرس التّطوّر اللّغويّ، ونحاول الكشف عن أسراره فنقارن بين الأزمنة

[16] – ميشال زكريا، علم اللغة الحديث" المبادئ والإعلام، لمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية، 1983 – ص 146.

والأطوار، ونحن نجهل كلّ شيء عن حال ذاك اللّسان في فترة معيّة من فترات تطوّره؟ لذلك فضّل "سوسير" الدّراسة الآنية واعتبرها هي الدّراسة اللّسانيّة الحقّة، وقدّم مثالا لعدم الخلط بين الدراستين، حيث شبه اللغة بلعبة الشطرنج ففي أثناء اللعب تتغير حالة اللوحة باستمرار، غير أنه يمكن وصف حالة اللوحة في أي وقت وصفا كاملا، بتحديد المواقع التي تحتلها قطع الشطرنج المختلفة، أي وصف الحالة الراهنة للوحة، دون الالتفات إلى أية حركة سابقة، واللغات كذلك تتغير باستمرار مثل لوحة الشطرنج، لكن يمكن وصف هذه اللغات في وقت محدد، دون الرجوع إلى الأحوال السابقة، التي كان لها تأثير في الحالة المعينة الموصوفة في الوقت المحدد، لكن هذا لا يعني انقطاع الصلة بين الدراسة التاريخية والآنية، فالدراسة التاريخية تعتمد على الوصفية، لأنه لكي نتابع التطور التاريخي للغة، نحتاج إلى وصف دقيق لمرحلة متقدمة، ومرحلة متأخرة من تاريخ هذه اللغة، ويقول "سوسير" بأنّ اللغة نظام يجب دراسة عناصره في حال بنائها الآني الوصفي، وبما أن التغيرات لا تؤثر في النظام ككل، بل تؤثر في عنصر من عناصره فحسب، فينبغي من ثم دراستها من خارج إطار النظام.

4 . **اللغة والكلام**: يفرق اللساني فرديناند دي سوسير بين اللغة والكلام وذلك انطلاقا من إيمانه القاطع أن اللغة تسبق الكلام. فاللغة جماعية و مشتركة في حين أن الكلام فردي ركز دراساته على اللغة وليس الكلام فقد عرف اللغة بأنها: " رصيد يستودع في الأشخاص الذين ينتمون إلى مجتمع واحد ... وبفصلنا اللسان (اللغة) عن الكلام، نفصل في الوقت نفسه ما

هو اجتماعي عما هو فردي، ما هو جوهري عما هو إضافي أو عرضي "[17] اللغة مشتركة ناتجة عن مخزون وموروث مشترك بين فئة مجتمعية محددة، "فاللغة لها كيان موحد قائم بذاته "[18] بينما الكلام هو الاستعمال الفردي لهذا المخزون، لذلك فإن موضوع اللسانيات هو اللغة الجماعية وليس الكلام ذي الطابع الفردي المختلف بين الأشخاص، وفي هذا الصدد يميز تمام حسان بين اللغة والكلام قائلا :

" الكلام عمل واللغة حدود هذا العمل، والكلام سلوك واللغة معايير هذا السلوك، والكلام نشاط واللغة قواعد هذا النشاط، والكلام حركة واللغة مظاهر هذه الحركة، والكلام يحسن بالسمع نطقا والبصر كتابة، واللغة تفهم بالتأمل في الكلام، فالكلام هو المنطوق وهو المكتوب، واللغة هي الموصوفة في كتب القواعد والمعاجم ونحوها والكلام قد يكون عملا فرديا ولكن اللغة لا تكون إلا اجتماعية"[19] نلاحظ أن هناك فوارق واختلافات كبيرة بين اللغة والكلام هذا ما يتفق عليه جل اللسانيين والدارسين.

– دراسة التركيب العام للنظام اللغوي

إن وظيفة اللسان الرئيسية هي الاتصال والتواصل والتبليغ وذلك من خلال إمكانية استبدال كل لفظة بمجموعة من الألفاظ التي تقابلها والتي يمكن تعويضها في نفس السياق إذ أن الكلمة لا يتوضح معناها إلى بالرجوع إلى الجملة قال دي سوسير في هذا السياق: " إن

[17] – خولة الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، داار القصبة، الجزائر، 2002، ط 1– ص 12

[18] – فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، تر يوئيل يوسف، دار آفاق عربية، بغداد، ص 27.

[19] – تمام حسان: اللغة العربية: معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط 1، 1973، ص 14.

عبارة ما في تركيب ما لا تكتسب قيمتها إلا بتقابلها مع ما يسبقها أو ما يليها أو الاثنين معا" 6 معتبرا المهم والأهم هو تحقيق وظيفة التخاطب ودور اللساني حسب فرديناند دي سوسير هو دراسة خواص هذا النظام اللساني.

أو هي مجموعة الكلمات ودلالاتها المخزنة في ذهن المتكلمين، فاللغة، من هذا المنظار، حقيقة نفسية واجتماعية وتنظيم موجود بالقوة، في دماغ كل فرد من أفراد المجتمع، أما الكلام فهو العمل المحسوس الذي ينشط به الفرد، وبفصل اللغة عن الكلام فإنّ "سوسير" فصل بين ما هو اجتماعي عما هو فردي وما هو ضروري عما هو ثانوي، فالكلام على اعتبار أنه ما ينطق به المتكلم، فلا يمكن أن يكون ظاهرة اجتماعية، لأنّ الظاهرة الاجتماعية تكون غاية في مجتمع، يمارس إلزاما على أفراده، فالمجتمع حين يخضعنا لقواعد اللغة يسهّل لنا المجال للتفاهم المشترك، ويتم التفاهم عند الالتزام بالقواعد التي يفرضها العرف، ويظهر عدم الالتزام عند مخالفة القواعد مثلا، وعند الأطفال حين يتعلمون اللغة فهم يترددون في استخدام الكلمات والعبارات، لأنهم لا يعرفون وجه الصواب، ولما كانت اللغة ليست موجودة بشكل تام عند المتكلم، وموجودة بكاملها في الجماعة، ولا يمكن تحقيقها تحقيقا كاملا، وهناك تفاوت في مراعاة قواعدها بين الأفراد، كانت موضوع اللسانيات ولم يكن الكلام، لأنه يتحقق بصور مختلفة.

***** أهم ما يميز الكلام عن اللغة:**

إن" الفصل بين اللغة و الكلام يعني أيضا الفصل بين ما هو اجتماعي وما هو فردي"[20]

إذ نستنتج ان:

*** **الكلام** نشاط فردي متنوع ولا يمكن أن تتحقق وحدته، فهو غير متجانس، أما **اللغة** فمتجانسة، وهي نظام من العلامات.

*** **الكلام** نشاط غير محدد، ومن ثم فلا يمكن دراسته دراسة علمية، لأن الدراسة العلمية ينبغي أن يتوفر لديها موضوع محدد،

*** **الكلام** شيء فردي، وليس وسيلة جمعية أو نموذج جمعي **كاللغة**، التي هي أداة مشتركة بين المتكلمين.

*** **اللغة** موجودة في شكل يتألف من مجموعة من الصور اللفظية، المخزنة في أدمغة الناطقين بها، وكأنها مجموعة متماثلة من القواميس، وهي ليست ك**الكلام**، إذ يمكن دراستها وهي مستقلة، كما أن اللغات الميتة يمكن دراسة أنظمتها، رغم أننا غير قادرين على التحدث بها.

*** **اللغة** موجودة بالقوة في كل دماغ، أي كامنة، أما **الكلام** فموجود بالفعل أي حادث.

[20] – فرديناند دي سوسير، علم اللغة العام، تر يوئيل يوسف، ص 32.

*** **اللغة** نتلقاها جاهزة، وتتعرض لتغيرات طفيفة جدا، أما **الكلام** فيتعرض لتغيرات لا تنتهي، ولا يمكن تجاهلها.

ومن هنا ساعدت هذه التفرقة "سوسير" على تحديد ما يمكن دراسته، أي ما هو ضروري وما هو اجتماعي، وما لا يمكن دراسته، أي ما هو عرضي وفردي، فاللغة هي التي يمكن أن تدرس وليس الكلام.

5 . مفهوم اللغة كنظام أي أن اللغة هي كلٌّ مُنظم من العناصر، لا يمكن دراسته إلا من حيث كونه يعمل كمجموعة، وهي نظام من الأدلة والعلاقات، أي لا تتواجد وحداتها إلاّ في نطاق

العِلاقات، الّتي تربِطها بِغيرها مِن الوحدات التّابِعة لِنفس النّظام، ولا تتحدّد إلاّ بِاعتِبار وظيفتها ضِمن المَجموع.

6 . العلاقات التركيبية والعلاقات الاستبدالية:

. ميّز "سوسير" بين نوعين من العلاقات القائمة بين العناصر اللغوية: العلاقات الاستبدالية التي كان يسميها العلاقات الترتيبية، والعلاقات الركنية،[21]

[21] – ميشال زكريا، علم اللغة الحديث" المبادئ والأعلام، ص 206.

وهكذا فإنّ كلّ شيء في حالة لُغويّةٍ ما إنّما يَقوم على العِلاقات، ففي المحور التّركيبيّ علاقات تنجم عن توظيف الوحدات بِمُراعاة تسلسُلها في مدرج الكلام، وهي علاقات حضورية،

وفي المحور الاستِبداليّ علاقات ترتبِط عبرها الكلِمات بعضها بِالبعض في ذِهن المُتكلِّم، وبِاستِحضارِها عن طريق الذّاكِرة، وهي علاقات غيابية قائمة على التداعي.

7 . **اللغة وهي نظام من الأدلّة المغايرة أو المفارقة.** يعرف "سوسير" اللغة بأنها نظام من الأدلّة المغايرة أو المفارقة، ومفهوم الاختلاف مفهوم عملي يقترن بأسلوب البحث اللغوي، إذ على أساسه يمكننا فصل الوحدة اللغوية من خلال السياق الكلامي، فالعنصر الكلامي، يتميز من خلال تغايره عن بقية العناصر وتعارضه معها، ونجد "دي سوسير" في بعض السياقات من كلامه يحصر اللّغة في " الاختلافات "، ومنها يستمدّ فكرة " اللّغة جوهر لا مادّة "، فعند حديثه عن القيمة اللغوية قرّر أنّ دراستها ينبغي أن تكون من جانبين وهما الأفكار والأصوات، وقال بأنّ الفكرة إذا ما انعزلت عن الصوت، أصبحت كتلة غير متميزة ولا شكل لها، ولا نستطيع أن نضع حدا فاصلا بين فكرتين دون الاستعانة باللغة، ومن ثم لا يعترف بوجود أفكار سابقة عن اللغة، ولا بوجود وحدات صوتية مستقلة عن الأفكار، وقرّر بأن عناصر الصوت والفكرة تندمج مع بعضها، ومجموعهما ينتج ما يسميه "الشكل Forme"، وانتهى إلى أن اللسانيات تدرس الشكل وليس المادة Substance، ومثّل لذلك بلعبة الشطرنج، حيث أن قيمة القطعة من قطع هذه اللعبة تظهر في علاقتها مع غيرها من

القطع، وليس بالنظر إليها في ذاتها بكونها مادة مصنوعة، فإذا أخذت بعيدا عن النظام المحدد للعبة، وفي ظروف أخرى للعبة فهي لا تعني شيئا للاعب، كما أنها إذا فقدت أو حطمت أثناء اللعب، فيمكن أن يحلّ محلها قطعة مشابهة أو غير مشابهة لها، وهي تكتسب القيمة ذاتها، إذا ما قامت بالدور نفسه، أي الوظيفة التي كانت تقوم بها القطعة المحطمة أو المفقودة، وهذا ينطبق كذلك على العلامة اللغوية، إذ تتحدد قيمتها بعلاقاتها مع غيرها من العلامات، وليس بالنظر إلى مادتها أي أصواتها أو معناها.

8 . **مفهوم الدليل اللّغوي**[22] أو عنصر التنظيم اللغوي المتكون من دال ومدلول، والدليل اللّغوي ذو طبيعة اصطلاحية وخطية. بعبارات أخرى الدال هو الاسم أو التسمية أو الإشارة الصوتية إما المدلول فهو الفكرة الموجودة في الذهن وبين الدال والمدلول هناك مدلول عليه وهو المسمى أو الشيء في حد ذاته. إن المنطق السويسري في قضية الدليل اللساني يؤكد أن وجود دال ومدلول يغنينا عن إحضار المدلول عليه إلى أعين المتحدثين، ويؤكد على هذين العنصرين في إنجاح عملية التواصلية والتخاطب.

فاللساني لا يهتم بالمدلول عليه أو كما يطلق عليه المرجع والمحسوس المادي والموجود في الواقع وإنما يهتم بالمفهوم الموجود لدى المتلقي والذي تلقاه من المتكلم باستعمال الدال.

إن الدليل اللساني حسب دي سوسير هو اعتباطي أي أن العلاقة القائمة بين الدال والمدلول لا تخضع لمنطق التبرير والتعليل، إذ لا يسال المخاطب المتلقي لماذا أطلق علي هذا الدال

[22] – فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، ص 84-86.

هذا المدلول ولماذا هذا المدلول مرتبط بهذا المدلول عليه. وفي هذا الصدد يقول سوسير: " الطبيعة الاعتباطية للإشارة أن العلاقة بين الدال SIGNIFIER والمدلول **SIGNIFIED** اعتباطية"[23]

إن هذا الدال أو الصورة الصوتية هي موروث جماعي مشترك بين الجماعة الناطقة بنفس اللغة وكل دال إلا وله مدلول مطابق للمدلول عليه مخزن في الذاكرة الفردية وهو يمثل استجابة المتلقي لرسالة المخاطب" لان الصورة الصوتية ليست هي الصوت المادي، لأنه شيء فزيائي محض، بل انطباع هذا الصوت في النفس، والصورة الصادرة عما تشهده حواسنا، فالدليل اللغوي إذا كيان ذو وجهين.

. اعتباطية الدال: إن الدال أو الصورة الصوتية هي موروث جماعي مشترك بين الجماعة الناطقة بنفس اللغة وكل دال إلا وله مدلول مطابق للمدلول عليه مخزن في الذاكرة الفردية وهو يمثل استجابة المتلقي لرسالة المخاطب" لان الصورة الصوتية ليست هي الصوت المادي، لأنه شيء فزيائي محض ، بل انطباع هذا الصوت في النفس، والصورة الصادرة عما تشهده حواسنا، فالدليل اللغوي إذا كيان ذو وجهين"[24] ولذلك نلاحظ أن العملية الاتصالية هنا نظاما كاملا يعمل بشكل آلي يخضع لمنطق اللغة والعقلإنّ العلاقة بين الدال والمدلول عند "سوسير" اعتباطية أي عرفية، فمدلول القلم . مثلا . ليس بينه وبين لفظه أي

[23] – فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، ص 86-87.

[24] – خولة طالب الابراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص 21

الدال أية علاقة ضرورية مباشرة، فليس ثمة سبب جوهري يفسر اختيار هذا الدال بعينه، ولم يختر دال آخر ليشير إلى الشيء ذاته، والمتكلم يمكن له أن يستبدل هذا اللفظ بلفظ آخر، متى اتفقت الجماعة اللغوية على ذلك، وخير دليل على اعتباطية العلاقة بين الدال والمدلول اختلاف اللغات. لقد اعتمد دي سوسير في محاضراته على دراسة اللغة في ذاتها ولذاتها وهذا ما سمي بالدراسة الوصفية الآنية أي البحث في تاريخها وماضيها وتطورها ألزماني، معتبرا العودة إلى ماضي وتاريخ اللغة لا يفيد ولا يضيف لدارسها ومتعلمها، فالعودة إلى تاريخ اللغة أمر ثانوي لان ما يهم اللساني هو دراسة اللغة في ذاتها ومن اجل ذاتها أي نظامها الداخلي من خلال الإلمام والتحكم بقواعدها وخصائصها وقوانينها، وقد اعتمد دي سوسير في البرهان على رأيه هذا بمثال "لعبة الشطرنج"[25] فالاعب الماهر في لعبة الشطرنج ليس بحاجة إلى معرفة تاريخ اللعبة ونشأتها وأصولها الفارسية وتطوراتها وطريقة وصولها إلى أوروبا، فما يهم لاعب الشطرنج بالدرجة الأولى هو التمكن منها ومن قواعد لعبها لتحقيق الفوز ، نفسه الشأن بالنسبة للكلمة فمعرفة تاريخ الكلمة لا يفيد في تحديد معناها الحالي.

[25] – ميشال زكريا، علم اللغة الحديث، ص 225

. **خطيّة الدّال**[26]: خاصيّة الخطيّة رّاجِعة في الأساس إلى الطّابِع الصّوتيّ لِلدّليل اللُّغويّ، الّذي يَقتضي تسلسُلاً زمنيًّا لِوحداته الصّوتيّة، وذلِك في هيأتها المَنطوقيّة، أي السلسلة الكلامية.

والدليل اللغوي كيان نفسي ذهني مزدوج الوجه، أي مكون من عنصرين أساسيين، وهما:

*** الانطِباع النّفسيّ النّاجِمِ عن الصُّورة السّمعيّة (الأكوستيكيّة) الّتي يُحدِثها الصّوتُ عادةً في الذِّهن (النّفس) حيث تُخزَّن، فتتحقَّق وترتسِم بِالتّعلُّم، أثناء اكتِساب اللُّغة، ثمّ تُستثار في مَواقِف الكلام المُختلِفة فيتمّ تحصيلها بِفضل عمليّة الكلام، وقد يقع ذلِك بِمُجرّد التّفكير، أي الحديث النّفسيّ الدّاخِليّ.

***المُتصوَّر وهو غير تِلك الصّورة السّمعيّة ويَتجلّى الفرق بينهما في دورة التخاطب، فالدّليلُ اللُّغويُّ في حقيقته كيّانٌ ذِهنيٌّ مُكوَّنٌ مِن الدّال، وهو الصّورةُ الصّوتيّة، والمَدلول أي المَفهوم الّذي يبنيه الإنسان مِن تصوُّرِه لِلشّيء (مُشخَّصًا كان أو مُجرَّدًا).

والعلامة عند "سوسير" تتمثل في العلاقة بين المفهوم والصورة السمعية، وتستبعد الجانب المادي بشقيه، ولقد أوضح بأن الصورة السمعية لا يعني بها المادة الصوتية

[26] – فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، ص 89.

الخالصة، إنما الأثر النفسي أو السيكولوجي للصوت، ويعني بالمفهوم الصورة الذهنية للشيء المتحدث عنه، لا الشيء ذاته.

9 . **مفهوم القيمة اللُّغويّة:** تُعرَّف القيمة بمقابلتها مع الدّلالة، وتُمثِّل القيمة اللُّغويّة ما يكتسِبه الدّليل مِن المدلولات إثر توظيفه في سيّاقاتٍ لُغويّة مُتنوِّعة، أمّا الدّلالة فهي تِلك العلاقة القائمة في الذِّهن بين الدّال والمَدلول.

10. السيميولوجيا تبدو اللغة من حيث نظامها الداخلي، كتنظيم مستقل من الإشارات، وهي تندرج مع تنظيمات أخرى تقوم، أيضًا على إشارات معينة، ضمن ما سمي بالدراسة السيميولوجية، فاللسانيات كما يراها "سوسير" جزء من علم السيميولوجيا الذي يتناول بالبحث دراسة التنظيمات القائمة على الإشارات .فهو" علم يقوم بدراسة حياة الاشارات في المجتمع".[27]

هذه هي إذن أهم المفاهيم البنيوية التي جاء بها "سوسير"، والتي أضحت مبادئ في اللسانيات، والتي أثّرت في مجموعة من المدارس، ظهرت بعده، وانبثقت عنه، وهي المدرسة الفونولوجية المسماة" حلقة براغ، والمدرسة الوظيفية مع " مارتيني" و" حلقة كوبنهاجن اللغوية".

[27] – المرجع نفسه، ص 34.

المحاضرة الثالثة

حلقة موسكو اللغوية"

نشأت "حلقة موسكو اللغوية" في موسكو وقد تأسست عام (1915 م)، وكانت تهدف إلى إنجاز دراسات لسانية وشعرية وعروضية وفولكلورية، وترى أن الشعر لغة في ممارستها للوظيفة الجمالية، وكانت تطمح، بحكم تخصصها اللغوي، إلى توسيع مجالات الألسنية، لتشمل الشعرية، وكان من أبرز أعضائها وقتها "رومان جاكبسون Roman Jakobson "، والذي صار يغذي الحركة بدراساته، ثم عندما غادر موسكو إلى تشيكوسلوفاكيا عام 1920، نقل مبادئها معه إلى "حلقة براغ اللغوية".

وظهرت معها حركة أخوى تدعى "أوبياز Opojaz"، في "بطرسبورج، وهي اختصارٌ لعبارة باللغة الروسية تعني: "جمعية دراسة اللغة الشعرية"، وقد تأسست في عام (1916م)، وكان من أبرز أعضائها: "بوريس ايخنباوم Boris Eikhenbaum"، و"فيكتور شكلوفسكي Viktor Shklvsky"، وكانت هناك علاقات صداقة، وتقارب بين هاتين الحركتين، وبفعل اهتمامهما باللغة، اتجهتا إلى الاهتمام بالنص الأدبي نفسه.

. مبادئ حلقة موسكو: تتبنى أفكار حاقة موسكو على مجموعة من المبادئ النظرية التي يمكن حصرها في العناصر التالية:

. التركيز على أدبية النص (Littérarité) أي: العناية بما يميز النص الأدبي على باقي النصوص الأخرى، أو ما يسمى بالوظيفة الجمالية أو الشعرية عند "رومان جاكبسون"، فكل جنس أدبي له وظيفته الخاصة، حيث تمتاز القصة بالوظيفة القصصية، والرواية بالوظيفة الروائية، والمسرح بالتمسرح، وهكذا، مع باقي الأجناس الأدبية الأخرى، وترتكز الوظيفة الجمالية على إسقاط المحور الاستبدالي على المحور الأفقي، ويقصد بالمحور الاستبدالي المعنى أو الترادف أو الدلالة، في حين يقصد بالمحور التأليفي علاقات المجاورة أو علاقات التركيب النحوي، ويعني هذا كله أن الوظيفة الجمالية تتضمن الدلالة والنحو معا.

. العناية بالشكل: لقد تجاوز الشكلانيون الروس ثنائية الشكل والمضمون، وقد اعتبروا الشكل علامة الدلالة، فمن خلال الشكل يبدو المعنى مبنيا، ويتجلى في آثاره الفنية والجمالية واللغوية والنصية، لذا اهتم الشكليون بالوزن، والقافية، والنواحي الصوتية، وما إلى ذلك من جوانب شكلية متعلقة بالصياغات اللغوية التي يتكون منها العمل الأدبي، في مقابل إهمالهم المضمون والمحتوى، فهم يرون أن المضمون الذي يقدمه العمل الأدبي ليس ذا أهمية بالنسبة إلى إنشاء الشعر، فالمضمون ليس أكثر من مجرد دافع للعمل الأدبي، وللنواحي الشكلية التي يُنشئها المؤلف فيه.

ومن هنا كان إهمال المضمون الذي يقدمه الأدب والعمل الأدبي نقطة جوهرية في فكر الشكليين؛ نظرا لكون الاهتمام بما يقدمه العمل الأدبي من مضمون، يغري دائما بالانزلاق إلى علم النفس وعلم الاجتماع والنواحي الفلسفية المختلفة، بينما التفكير في

المضمون على أنه مجرد ذريعة لإنشاء العمل الأدبي، مجرد فرصة مناسبة لممارسة نوع خاص من التدريب الشكلي، يتواءم تماما مع ما يريده الشكليون من دراسة لهذه النواحي دراسة علمية دقيقة؛ وليست القضية من منظورهم قضية إنكار لهذا المضمون، فهم يعترفون بعلاقة الفن بالواقع الاجتماعي، ولا ينفون هذه العلاقة، وإنما القضية عندهم قضية تحديد تخصصات، إذ هذه العلاقة . من منظورهم . ليست من شأن الناقد، كما أن ليس عمله تحديدها أو تحديد المضمون الموجود في الأدب.

. الانفتاح على اللسانيات: أهم ما تمتاز بها الشكلية الروسية أنها كانت تعنى كثيرا بمكتسبات اللسانيات، خاصة في دراسة الشعر، بتوظيف المستويات الفونولوجية والصوتية والإيقاعية والتنغيمية، ودراسة البنية الصرفية، ورصد مستويات الدلالة والتركيب معا، بالإضافة إلى تطبيقها على السرد، كما فعل "فلاديمير بروب Vladimir Propp " في كتابه "مورفولوجيا الخرافة"، حينما درس الخرافة الشعبية العجيبة، في ضوء التركيب السردي القائم على الوظائف والتحولات النحوية.

. المقاربة البنيوية: تستند الشكلية الروسية إلى المقاربة البنيوية اللسانية، التي تعنى بدراسة بنيات السرد والشعر والحكاية، وكذلك تحليل بنيات الشخصيات، بطريقة بنيوية محايثة وثابتة ووصفية وسكونية.

. تقعيد الأجناس الأدبية: اهتم الشكلانيون الروس بتقنين الأجناس الأدبية تجنيسا وتنويعا وتصنيفا وتنميطا، وفق المقاييس اللسانية والشكلية، مستبعدين المضامين والرسائل

الإيديولوجية، ودراسة هذه الأجناس في ذاتها، فهي تؤكد أن العمل الأدبي يتجاوز نفسية مبدعه، ولا يتطابق بشكل كامل مع الهيكل العقلي للمؤلف ولا المتلقي، وعليه نادى" رولان بارت Roland Barthes "بنظرية "موت المؤلف"، وهكذا ابتدأت الشكلية الروسية من دعوتها إلى استقلال الكلمة الشعرية كشيء قائمٍ بذاته، وانتهت إلى استقلال العمل الأدبي عن نفسية مؤلفه من ناحية، وعن الموضوع الاجتماعي الذي يشير إليه بأدواته وإجراءاته الخاصة من ناحية أخرى.

. الاهتمام بنظرية الأدب: يعد الشكلانيون الروس من أهم العلماء الذين اهتموا بتأسيس نظرية للأدب في ضوء المعطيات اللسانية، والمقاربات الشكلانية، والتصورات البنيوية والسيميائية، وبهذا يكونون قد مهدوا للدراسات البنيوية اللسانية والدراسات السيميوطيقية الشكلية.

. إقصاء المرجع الخارجي: لقد أقصى الشكلانيون الروس ما يسمى بالمرجع النفسي والاجتماعي، وتجاوزوا المضامين والمحتويات والخبرات والشعارات الإيديولوجية نحو استجلاء أسرار الشكل بنية ودلالة ووظيفة.

. الدفاع عن الشعر الجديد: كانت الشكلانية الروسية تدافع عن الشعر الجديد أو ما يسمى أيضا بالشعر المستقبلي، ويمتاز هذا الشعر بطابع رمزي إيحائي، ويتسم بالغموض على مستوى المجاز، والانزياح، والاهتمام بالشكل، والتنغيم الإيقاعي، والطابع غير العقلي.

. التركيز على هدف محدد وهو الوصول إلى تحديد منهج موضوعي، يتم به دراسة سمات الأدب من حيث الطرائق والأساليب، على نحو تتحقق فيه العلمية، وقد رفضت الشكلية ما كان سائدا من قبل بمعاملة الأدب على أنه انعكاس محض لسيرة كاتب، أو لتوثيق تاريخي، أو لأحداث اجتماعية؛ وفي مقابل ذلك، أصر الشكليون على أن الأدب منتج له خصوصيته المستقلة.

ومن الملاحظ، أن في اسم "حلقة موسكو اللغوية"، هو تأكيد على اللغة وعلى العامل اللغوي؛ وذلك يعكس سمة أساسية من سماتهم، إذ أرادوا دراسة الأدب على أساس أنه لغة، لكنها لغة مستخدمة بطريقة خاصة، وهي تختلف عن تلك المستخدمة في التواصل العادي غير الأدبي، إذ يقوم الأدب بعملية تحويل وتكثيف لها.

إن الأدب . كما يقول "رومان ياكوبسون" . عنف منظم يمارس على الحديث العادي؛ ولذا فإن أنجح الأشياء في معالجة الأدب هو علم اللغة؛ لكونه القادر على تحديد هذه الانحرافات Deviation التي يحدثها الأدب في اللغة التي يستخدمها.

وجدير بالذكر أن الحركة كان لها دور كبير في تطوير النقد الروائي، نظرا لما جاءت به من مفاهيم خاصة حول: الوظيفة، والحبكة، والحكاية، والتحفيز، وغيرها، كما أنها تحتل مكانة خاصة في مسيرة تطور الدراسات الأدبية والنقدية، إذ لها دور كبير في نشأة ما أصبح

يعرف باسم نظرية الأدب، وذلك لما قدمته من أفكار وأراء أحدثت الكثير من التغيرات في النظر إلى العمل الأدبي.

المحاضرة الرابعة

حلقة براغ 1.

. التأسيس: أُسِّست حلقة براغ [28] اللّغويّة في عام 1926 على يد جماعة من اللّغويين التشيكيين، وكتب لهذه الحلقة العلميّة الشهرة والذيوع، بدخول ثلاثة لغويين فيها مِن أصل روسي، وذلك عام 1928، وهم الأمير الروسي" نيكولاي تروباتزكوي (Nicolas Trubetzkoy) ورومان ياكوبسون (R. Jakobson) وكرسيفسكي (Kruszewski)، ومِن أولئك المؤسِّسين الأوائل لها العالم التشيكي فيلام ماثيسيوس Vilem Mathessieus، وتعرف بمدرسة براغ أو المدرسة الوظيفيّة، أو المدرسة الفونيمية، ولقد بلغت هذه المدرسة ذروتها في الثلاثينيات وما زال نفوذها مستمرًّا إلى يومنا هذا، وعلى خلاف المدارِس الأخرى، فإنّها تضمّ عدداً كبيراً من الباحِثين المتخصِّصين في اللّغات السلافية مِن تشيكوسلوفاكية [آنذاك] وخارجها، ولقد ربطت شهرة هذه الحلقة باليوم الذي قدّم فيه هؤلاء العلماء الثلاثة بياناً هاما إلى العلماء، الذين شاركوا في أوّل مؤتمرٍ دولي للغويين (في لاهاي سنة 1928)، وكان قد حرّر "جاكوبسون" مجموعة من المبادئ لدراسة أصوات اللّغة ووقّع عليها رفيقاه.

[28] – ابراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو، الطبعة الثالثة، 1999، ص 195، 196.

. الوظيفيّة والبنويّة[29]: كان لمؤلَّف "دي سوسير" " *محاضرات في اللّسانيات العامة* " أثرٌ كبيرٌ على بزوغ هذا النادي اللّساني، الذي شرع فيما بعد يعقد ندواتٍ منتظمة، ويتوِّجها ببحوثٍ في اللّسانيات الوظيفيّة على وجه الخصوص، ولقد سميَت هذه المدرسة بالمدرسة الوظيفيّة، لأنّ أصحابَها يرون بأنّ دراسة اللّغة تتمثّل في البحث عن الوظائف، التي تقوم بها عناصِر الملفوظ في عمليّة التواصل، انطِلاقاً من رؤية جديدة كان "سوسير" قد أرسى دعائمَها وهي إقرارُه بأنّ الوظيفة الأساسيّة للّغة هي التّواصل، وترى الوظيفية أنّ البنية النحوية والدلالية والفنولوجية للغات تُحدَّد بالوظائف المختلِفة التي تقوم بها في المجتمع، ولقد استثمرت العديد من مفاهيم "سوسير" في الدراسة الوظيفية للصوت اللغوي، كالتقابل والنظام واللغة والكلام والعلاقات التركيبية والاستبدالية.

وتعتبر اللّسانيات الوظيفيّة فرعا من فروع البنيويّة، فهي تندرج ضمن التيار البنيوي، مع العلم أنّ أنصار الوظيفيّة كادوا أن ينفصلوا نوعاً ما عن فِكرة البنية اللّغويّة. على أنّها بقيت تحتلّ مكانة المركز في أعمالهم . وذلك سعياً منهم إلى تحرير العلاقة القائمة بين ما يُتلَفّظ به، والسياق الذي تصدر فيه الأقوال، إذ التفت أولئك اللّسانيون إلى هذا الجانب من الدراسة (تفسير تلك العلاقة)، وشدّدوا على استجلاء وظيفة كلِّ عنصر من العناصِر اللّغويّة، فاللغة عندهم ذات واقع مادي تتصل بعوامل خارجة عنها مثل الموضوع والسامع، كما أنها تتصل بمظاهر عقلية ونفسية للإنسان، لذلك فإن البحث اللغوي يجب أن يدرس العلاقة بين اللغة

[29] – أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص 210.

والعواطف والأفكار التي توصلها اللغة، وبالتالي أضافوا إلى فِكرة وصف اللّغة، ضرورة الإحاطة بالكيفيّة التي يتمّ بها تبليغ الرسالة (الخطاب)، كما أقرت هذه المدرسة بأن البحث الفونولوجي يجب أن يتجه أولا إلى دراسة التقابلات الفونيمية، لأنها ذات دلالة على المستوى المورفولوجي، إذ لا يجب الفصل بين الظاهرة المورفولوجية والفونولوجية، لأنه عادة ما ترتبط التقابلات الفونيمية بالتغيرات الصرفية.

. الفنولوجيا (الصوتيات الوظيفيّة) : لقد سمّى أصحاب هذه الحلقة العلمَ الجديد بالفنولوجيا تمييزاً له عن الفونتيك، وهذه التسمية الأخيرة هي التسمية التي اشتهرت قبلَ ذلك للدّلالة على علم الأصوات اللّغويّة،

. وهي مادّة علميّة فرعيّة تابِعة للّسانيات بمفهومها الحديث، تتناول موضوعاً محصوراً في الأنظِمة المجرَّدة لأصوات مختلَف اللّغات، وتترك للصوتيات ومباحِثها همَّ الإحاطة بالأصوات النطقيّة، أي الوصف الفيزيائي لكيفيّة النطق بالأصوات؛ لتتولّى هي الوقوفَ عند الملامح الصوتيّة المميِّزة، التي ترجع إليها وظيفة تشخيصها عن قرب، باعتماد معياريْ (مخارج الأصوات والعناصر السمعيّة)، وهنا الطّابع البنيويّ لدراستها، وليس هذا فحسب، بل تستدعي طريقة التقطيع (Articulation) والاستبدال (Commutation)، وقبل أن يؤول المفهومان إلى منهجٍ يُتَّبع في التحليل كانا فكرتين من صميم البنيويّة، إذ تمتدّ جذورُهما في آنٍ واحِدٍ إلى المحور التركيبي (Axe syntagmatique) والمحور الاستبدالي (Axe paradigmatique)، الذين رسَّخهما "دي سوسير"، وعزّزهما بخاصية الدّال اللّغويّ المتمثِّلة

في الخطية (Linéarité)، فالمَعنى الوَظيفيَّ قد اشتَمل لَدى مَدرسة براغ على ما سمّوه المَعنى الاستِبداليّ، أو مَعنى المُقابلة الّذي يُنسَب إلى الأصوات عِند الاستِبدال في المَوقِع (وهو المُعاقبة في مُصطلح النَّحو العَربيّ)، وتمتدّ جذوره كذلك إلى " الاختلافات "، التي نجد "دي سوسير" في بعض السياقات من كلامه يحصر اللّغة فيها تعريفاً، ومنها يستمدّ فكرة " اللّغة جوهر لا مادّة "[30].

وتندرج أفكار "تروبتسكوي" بوصفه مؤسس الفونولوجيا في إطار المفهوم الوظيفي، الذي نادت به هذه المدرسة، ولقد بدأ أبحاثه من حيث انتهى "سوسير"، حيث أقام تصوّره للفونيم على التفرقة التي وضعها "سوسير" بين الثنائية لغة/كلام، حيث ينتمي الفونيم إلى مفهوم اللغة بالمعنى السوسييري، أما الأصوات فتنتمي إلى الكلام، بمعنى أنّ "تروبتسكوي" فرّق بين علم الأصوات (الفونتيك) وعلم الأصوات الوظيفي (الفونولوجيا).

. <u>الفونتيك[31]</u>: يحلّل أصوات اللغة وهي مستقلة عن غيرها، أي من حيث كونها مادة منطوقة، وبغضّ النظر عن أوارها في البناء اللغوي، والوحدة التي يعالجها هي " الألوفون " ويتفرع هذا العلم إلى :

*<u>علم الأصوات النطقي</u>: والذي يهتم بكيفيات إصدار الأصوات، وتحديد مخارجها وبيان صفاتها.

---

[30] –احمد مومن: اللسانيات النشأة والتطور، ص 154.

[31] – المرجع نفسه، ص 164.

*علم الأصوات الفيزيائي: والذي ينظر في الذبذبات التي تحدثها الأصوات في الهواء، فيدرسها ويحللّها.

*علم الأصوات السمعي: والذي يهتم بوقع هذه الأصوات في أذن السامع، وهذا الفرع ذو جانبين:

° جانب عضوي أو فيزيولوجي: وينظر في الذبذبات التي تستقبلها الأذن، وفي آلية الجهاز السمعي ووظائفه عند استقبال الذبذبات.

° جانب نفسي: وينظر في تأثير الذبذبات على أعضاء السمع، وعملية إدراك السامع للأصوات، وكيفية هذا الإدراك.

. الفونولوجيا: وتعالج قيّم ووظائف الأصوات (الفونيمات) داخل البناء اللغوي، بوصفها وحدات فونولوجية مجرّدة.

المحاضرة الخامسة: حلقة براغ 2

. الفونيم والألوفون (Phonème & Allophone):[32] تطرق تروبتسكوي إلى مفهوم الفونيم، والذي يعرفه بأنه أصغر وحدة فونولوجية مركبة أو الوحدة الصغرى المميزة، وهو كيان مجرد، وليس صوتا في حد ذاته، وهذه الوحدة تتحقق عن طريق الكلام، والفونيم يؤدي وظيفتين، وهما:

*** وظيفة إيجابية، حيث يساعد على تحديد معنى الكلمة التي تحتوي عليه، مثل: النون تشترك مع غيره في تحديد كلمة نام.

*** وظيفة سلبية، حيث يحتفظ بالفرق بين كلمة ما من حيث المعنى والكلمات الأخرى، مثل: نام، قام، صام.

أمَّا الألوفون فهو عضو في فونيم ما، يتماثل صوتيًا مع سواه من ألوفونات الفونيم ذاته، ويتوزَّع معها تكامليًّا، أو يتغيّر معها تغيُّرًا حُرًّا.

. ووضع تروبتسكوي بعض القواعد ليسهل التمييز بين الفونيم ووجوه تأديته، وهي:

*** إذا جاء صوتان مختلفان من اللغة نفسها في سياق واحد ولا فرق بينهما، ويمكن مع ذلك استبدال أحدهما بالآخر دون أن يتغيّر معنى الكلمة، فهذان الصوتان هما وجهان اختياريان لفونيم واحد، مثل صوت (R) في اللغة الفرنسية وصوت النون في اللغة العربية،

[32] – المرجع السابق، ص 168.

حيث ينطقان بصور مختلفة، وهذه الصور هي صور نطقية لنفس الفونيم، وتسمّى بـ:" Variante أو Allophone.

*** إذا جاء صوتان في الموقع الصوتي نفسه، ويتغيّر المعنى عند استبدال أحدهما بالآخر، فهذان الصوتان تأديتان لفونيمين مختلفين (هناك صوتان مختلفان ويمثلان حرفين مختلفين)، مثل الراء والغين في العربية فكلاهما فونيم.

*** قد تختلف تأدية الوحدات الصوتية إذا جاورت حروفا معيّنة، مثل الحركات في اللغة العربية عند مجاورتها للحروف المفخمة، وفي غير هذا الموقع فهي مرققة، وهذا لا يؤثر في المعنى.

والوظيفة الأساسية للفونيمات عند تروبتسكوي هي الوظيفة التمييزية، حيث أن الفونيم يدخل في تضاد أو تقابل فونولوجي، ولا يمكنه أن يؤدي وظيفة تمييزية، إلا إذا كان مضادا لفونيم آخر، وهذا مفهوم علمي: مفهوم التقابل والتناظر في الرياضيات، ومثال ذلك التقابل من حيث الهمس والجهر بين س/ ز، ت/د، ث/ذ، والتقابل من حيث المخرج بين ب/خ، م/ع، وهذه الوظيفة ليست ذاتية تكمن في طبيعة الصوت، إنما هي نتيجة تواضع واصطلاح الجماعة اللغوية، لذلك تختلف وظائف الأصوات باختلاف اللغات، وتختلف اللغات في عدد فونيماتها، وليست جميع الفونيمات موجودة في جميع اللغات، وما هو فونيم في لغة ما، قد يكون ألوفونا في لغة أخرى، والعكس صحيح.

وتنقسم الفونيمات إلى[33] :

* **فونيمات قِطْعِيَّة أو فونيمات تركيبية** تشمل: الصوامت والصوائت، لكن الفونيمات تميز بين الكلمات من حيث ترتيبها وموقعها في البنية اللغوية أيضا.

* **فونيمات فوق القِطْعِيَّة** وتشمل: النبرات والنَّغمات والاستفهام

وأضاف "جاكبسون" فكرة الملامح المميزة «Traits distinctifs"، والتي طوّرت الدراسة الفونولوجية، ويقصد بها الخصائص الصوتية التي تميّز فونيما عن فونيم آخر، بمعنى أنّ كلّ ملمح مميّز يقف في تقابل محدّد مع غيابه أو مع ملمح آخر في فونيم آخر، مثل: p / b، t / d (التقابل من حيث صفتي الجهر والهمس).

والفونيم عند "جاكبسون" مجموعة من الملامح المميّزة، التي تتبع من الخصائص النطقية والسمعية، والتي تحدّد كلّ صوت من أصوات اللغة، كالمخرج وصفات الصوت، ونظرا لدقة هذه الملامح استعان "جاكبسون" في تحديدها بآلات خاصة لتحليل الأصوات على شكل موجات صوتية، وتطورت هذه الدراسة وأصبحت تعرف بـ:" علم الأصوات التجريبي أو الآلي".

واشتهر "جاكبسون " بنظريته الفونولوجية التي تنصّ على وجود نظام سيكولوجي كلّي (Universel) تشترك فيه جميع اللغات، ويرى أنّ الاختلافات في أصوات اللغات عبارة

[33] – المرجع السابق، ص 189.

عن اختلافات سطحية لنظام تحتي ثابت، وبيّن أنّ هذا النظام الفونولوجي الكلّي يتضمّن اثنتي عشرة سمة ثنائية مميّزة تتصف بها كلّ اللغات منها: مجهور/ مهموس، صائت/صامت، زفيري/شهيقي، أنفي/شفهي، غليظ/حاد...

وتعتبر هذه النظرية أول تعميق منهجي لنظرية "سوسير" في اللغة، التي ترى أنّ اللغة نظام من العلامات يتقابل بعضها مع البعض الآخر، ووصف هذه الوحدات لا يتم إلاّ بالنظر إلى علاقة كلّ عنصر بما يجاوره من العناصر الأخرى، وبناء على هذا المفهوم للفونيم ووظيفته اللغوية وقيمته في التحليل اللغوي، أقامت مدرسة "براغ" نظرية الفونيم، وهذه النظرية كانت تهتم بالعلاقات الاستبدالية بين الفونيمات (أي التقابل بين الفونيمات) في نقطة معينة من التركيب الفونولوجي، بدلا من العلاقات التركيبية التي تحدّد كيفية تنظيم الفونيمات في وحدات اللغة.

إنّ البرنامج الذي وضعته مدرسة "براغ" بزعامة "تروبتسكوي" و"جاكبسون" يعدّ إسهاما من لون جديد يتصل بفلسفة البحث اللغوي أو بأهداف النظرية اللغوية، حيث انبثقت عنه العديد من المبادئ والأفكار التي وجّهت الفكر اللغوي وأنظار علماء اللغة إلى ميادين من البحث اللغوي، ودراسات لم تظهر آثارها إلاّ فيما بعد، فالمبدأ القائل بأنّ اللغة تظهر في مستويات متعدّدة من الأشكال قد فتح آفاقا جديدة في دراسة علم اللغة الاجتماعي ودراسة الأسلوب وغيرها.

المحاصرة السادسة

المدرسة الغلوسيماتية (كوبنهاقن).

أسّســها العــالم اللســاني الــدانمركي " لــويس يلمســليف Hjelmslev Louis " [34] بكوبنهاغن، لذلك عرفت بمدرسة كوبنهاغن، وإن كان بعض الباحثين لا يعتبرها مدرسة بأتمّ معنى الكلمة، بل مجرّد نظرية لسانية تعرف باسم "الغلوسيماتيك Glossematique"، وهذه الكلمة مشتقة من الكلمة الإغريقية: "غلوسة Gloossa " التي تعني اللغة، وقامت على كثير من مبادئ "سوسير" ومدرسة "براغ"، حيث اعتبرت اللغة غاية في حدّ ذاتها لا وسيلة لتحقيق الغاية المقصودة بالكلام، وكان "يلمسليف" يثني على جهود "سوسير" ويعدّه المؤسس الأول للسانيات البنيوية، وعدّ أبحاثه على أنها استمرار ونضج أكثر دقة علميا لأفكار "سوسير"،

---

[34] ولد عام 1899م بكوبنهاغن ، ولقد كان لوالده الذي كان أستاذا للرياضيات ورئيسا لجامعة كوبنهاغن أثر على نبوغه في مجال اللسانيات،وقد التحق بهذه الجامعة عام 1916م ، وعندما فرغ من دراسته الجامعية غادر وطنه طلبا للمعرفة فدرس بلتوانيا في عام 1921م، وببراغ في عام 1923م، ثم باريس حيث اتصل بـ" مايي Meillet " و" فندريس Vendryes " وتابع محاضراتهما في اللسانيات، تعرّف خاصة على أفكار " دي سوسير" التي ساعدته على إرساء دعائم نظريته الجديدة:" الغلوسيماتيك glossématique "، تأثر بالمنطق الرياضي والمنهج العلمي السائد آنذاك، خاصة المنطق النمساوي لـ " كارناب Carnap "، ناقش رسالة دكتوراه بعنوان " دراسات بلطيقية" في عام 1932م ،وشغل منصب أستاذ اللسانيات في جامعة "كوبنهاغن" ، ثم خلف " بيدرسن Pedersen " . الذي تتلمذ على يديه . عام 1937م في كرسي اللسانيات المقارنة، وأثناء المؤتمر الدولي الثالث للسانيات الذي انعقد في كوبنهاغن عام 1936 م كانت رغبة التمايز عن علماء مدرسة "براغ" قد تجسدت بخلق مصطلح " الغلوسيماتيك"، حيث تمّ توزيع نص قصير على المؤتمرين بعنوان:"مختصر المخطط التمهيدي للغلوسيماتيك"، وفي عام 1938م أسس مع " فيغو برونـدال Viggo Brondal " . الذي تأثر بدوره بـ " أرسطو و سبينوزا و كانط وهوفدينج " . مجلة " Acta linguistica"، التي تحمل عنوانا آخر وهو: " Revue internationale de linguistique structurale " ،ومنذ عام 1944م بدأت أعمال الحلقة اللسانية لكوبنهاغن تتوالى على منوال أعمال حلقة "براغ"، ومن أشهر مؤلفات " يلمسليف" : " مبادئ النحو العام Principes de grammaire générale " ، " مقدمة في نظرية اللغة Prolégomènes à une théorie du langage "، ونشر كذلك سلسلة من المقالات والدراسات التي جمِعَت لاحِقاً في كتابٍ تحت عنوان:Essais linguistiques ".

بل عدّ نفسه تلميذه الوحيد والحقيقي، إلاّ أنّ توجهاته العلمية، واهتمامه بالمنطق الرياضي، ومعرفته الواسعة باللغات القديمة والحديثة مكّنته من صياغة لسانيات موسومة بالروح الرياضية، فكانت "الغلوسيماتيك" إضافة نوعية للدراسات اللسانية المعاصرة.

وجاءت "الغلوسيماتيك" لتنقد الدراسات اللغوية التي سبقتها، والتي خرجت عن مجال اللغة، من ذلك الدراسات التي تأثرت بالفلسفة والأنثربولوجيا واللسانيات المقارنة، ولتقيم لسانيات علمية مبنية على أسس رياضية ومنطقية وكلّية *Universel*، لا تخرج عن دائرة اللغة، حيث تهتم بوصفها وتحليلها وتفسيرها بطريقة موضوعية، وتؤكّد على استقلال التحليل اللغوي عن المجالات الأخرى غير اللغوية.

وصاغت هذه المدرسة مفردات جديدة مثل: " Cenematique " وهو مصطلح بديل لـ "Phonematique "، وهي التسمية التي أعطاها "يلمسليف" و"أولدل Han Jorgen Uldall " لهذه النظرية الجديدة بوصفها نظرية متميّزة عن نظرية "براغ" الفونولوجية، وذلك أثناء انعقاد المؤتمر الدولي الثاني للعلوم الصوتية عام 1935 م، وكذلك مصطلح "Correlation " للدلالة على العلاقات الاستبدالية، و"Relation " للدلالة على العلاقات التركيبية، ومصطلح Systéme: النظام و Texte النص، ومن المصطلحات التي استعملها أيضا: Fonction "، حيث أعطى لها معنى جديدا قريبا من معناه الرياضي، هي علاقة بين لفظين، وتدلّ على كلّ علاقة غير مادية ومجرّدة وشكلية، والبنية عنده نسيج من الوظائف، ويرى أنّ اللسانيات البنيوية ترتكز على دراسة الوظائف وأنواعها، وتحليله الوظيفي يهتم

بالعلاقة بين الوحدات ، ولا يهتم بدراسة هذه الوحدات في مظهرها المادي، إنما بمظهرها الصوري أو الشكلي، فليس المهم عنده . مثلا . الأصوات أو الخصائص الكتابية أو الدلالات، إنما المهم هو علاقاتها المتبادلة ضمن سلسلة الخطاب (المحور التركيبي)، وضمن المحور الاستبدالي للنحو، فهذه العلاقات هي التي تشكّل نظام لغة ما، ومن هنا اعتبر اللغة . مثل "سوسير" . شكل وليست مادة.

ومن هنا لم يعتمد "يلمسلف" في دراسة الوحدات اللّسانيّة مبدأ التقابل . وهو المفهوم الأساس في الدّرس السوسيري . لأنّ هذا المبدأ في نظره يؤدّي إلى منح الوحدات اللّسانيّة صفة الإيجابيّة بينما يعتبر الوحدة في غاية السلبية، أي أنّها لا تحدِّد نفسَها بنفسِها بل بمجموع العلاقات الشكلية التي تقيمها مع بقية وحدات اللّغة. فالأهمية القصوى عنده تكمن أساساً في البحث عن طبيعة العلاقات التناسقية بين العناصر اللّسانية التي تتشكّل منها أيّ مدوّنة لغويّة.

وفرّق ضمن تحديده لأنواع العلاقات الاستبدالية بين[35]:

*** مبدأ التعويض Substitution، ويكن بين لفظين متعالقين استبداليا، وهذا المبدأ لا تتحقق وظيفته إلاّ بين التنوعات Variantes، بمعنى أنّ التعويض يكون بين الكلمات التي لا يؤدي تبديله بعضها محل البعض إلى تغيير في الوحدة، مثل: التقابل بين دالين أو

[35] – أحمد عزوز، المدارس اللسانية أعلامها مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي ،جامعة وهران، ص 176

تنوعين لدال واحد كقولنا: أعطى ومنح (ظاهرة الترادف)، أو بين مدلولين أو تنوعين لدال واحد كقولنا: Tante بمعنى " عمّة " ومعنى «خالة " في اللغة الفرنسية.

*** مبدأ الإحلال Commutation أي التبديل، ويكن بين دالين حيث يكون التغيير متعلقا بمدلولين، أو بين مدلولين حيث يكون التغيير متعلقا بدالين، وهذا المبدأ تتحقق وظيفته بين اللاتنوعات Invariantes، أي أنّ التبديل يكون بين الكلمات التي يؤدي تبديل بعضها محلّ بعض إلى تغيير في المعنى، بحيث يتقابل دالان كلّ منهما له مدلوله الخاص، أو مدلولان كلّ منهما يتصل بدال خاص، ويبدو أنّ «يلمسليف " قدّم هذا المبدأ التحليلي قياسا على مبدأ التمييز الذي وضعه أصحاب حلقة "براغ" بين الصوت (الألوفون) والفونيم.

إنّ " يلمسليف " لا يعتبر العلاقات الاستبدالية وظائف، إنما هي ترابطات، ومعنى الوظيفة عنده يقتصر على العلاقات التركيبية أي العلاقة غير المادية والمجرّدة أو الشكلية بين كلمتين متتابعتين في نص، وتسمى وظيفتين، وتبعا لذلك قابل بين النظام، وهو ما يظهر بعد العلاقات الاستبدالية، والنص أو الاستعمال، وهو ما يظهر بعد العلاقات التركيبية، وهذه الثنائية تقابل ثنائية " سوسير " اللغة والكلام، وحاول " يلمسليف " التعرف على نوع الوظيفة الموجودة في ثنائية "سوسير " فوضع تصوّره عن اللغة في ثالوث، وهو:

* الهيكل ويسمّى أيضا المخطط Schéma، ويمثّل اللغة كشكل صوري نموذجي خالص ومستقل عن التحققات الاجتماعية والمظهر المادي.

* القاعدة أو المعيار Norme، ويمثّل اللغة كشكل مادي أو صورة مادية منظور إليها في ظلّ تحقيق اجتماعي ما، لكن بشكل مستقل عن تفاصيل مظهرها.

* الاستعمال Usage، ويمثّل اللغة كمجموعة من العادات الخاصة بالمتكلمين في مجتمع ما.

أما الكلام فسمّاه بـ " الفعل Acte " ويريد به الاستعمال الفردي للغة عند الناطقين.

ولبيان كيف تتحدّد العلاقات بين اللغة عبر الثالوث السابق (تحديدات اللغة) والكلام أشار إلى أنّ:

. الاستعمال والفعل (الكلام) يسبقان منطقيا وعمليا المعيار، لأنّ المعيار يأتي من الاستعمال والفعل (الكلام) وليس العكس، والمعيار يضبط الاستعمال والفعل وليس العكس.

. هناك علاقة تبعية داخلية بين الاستعمال والفعل (الكلام)، إذ أنّ كلّ منهما يستلزم الآخر، فالاستعمال أداته الكلام، والكلام مصدره وميدانه الاستعمال، وهذا ما يؤدي إلى الخلط بينهما، لكن " يلمسليف " . ولحلّ هذه المشكلة . عمد إلى التمييز بين المعيار الذي يدل على اللغة بشكل واضح لا تداخل فيه، والاستعمال الذي يتداخل مع الكلام، نظرا لعلاقة التلازم بينهما، فيصبح المفهوم الذي يصلح أن يقابل الكلام هو المعيار.

. يتحدّد المخطط عن طريق الفعل والاستعمال وليس العكس، والمخطط حسب " يلمسليف " هو الثابت Constant، من حيث أنه يشكّل مجموعة القيم Valeurs في نظام اللغة

بالقياس إلى الوحدات الملموسة في الفعل والاستعمال، والتي تصف بأنها قابلة للتغيير Variable.

واستبدل "يلمسليف" ثنائية الدال/المدلول بثنائية "التعبير Expression /المحتوى Contenu"، وتجمعهما علاقة تسمى بـ "العلامة اللغوية Signe Linguistique "، وكلّ منهما يستدعي الآخر، وليسا أكثر من أعضاء متكاملة في وظيفة خاصة، حيث يرتبطان ارتباطا وثيقا بالوظيفة العلامية Fonction Sémiotique ، وكلّ احد منهما يخضع بدوره إلى ثنائية أخرى، وهي ثنائية الشكل والمادة، وينتج عن هذه العلاقات أربع مستويات،وهي: مادة المحتوى، شكل المحتوى، شكل التعبير، ومادة التعبير[36].

***مادة التعبير: وتمثّل الجانب المادي الخالص، أي هي عبارة عن أصوات (موجات صوتية) في عملية النطق، وهو الحبر أثناء الكتابة.

*** شكل التعبير: هو الجانب التنظيمي للمادة الصوتية الخام، بمعنى أنه عبارة عن قوالب تركيبية مختلفة لهذه المادة كالفونيمات والمورفيمات وغيرها.

*** مادة المحتوى: وتمثّل المعنى أو المضمون (الأفكار).

*** شكل المحتوى: ويمثّل البنية التركيبية والمعجمية.

[36] – المرجع السابق، ص 183.

إنّ شـكل التعبيـر و شـكل المحتـوى يمثـّلان معـا الرمـز اللغـوي بجانبيه(الشـكل والمحتوى)، ومن هنا فإنّ الناس جميعا يشتركون في مادة المحتوى مهما اختلفت لغاتهم، في حين يختلفون في شكل المحتوى، أي في التعبير عن هذه المادة، فمثلا فكرة عدم المعرفة تمثل مادة المحتوى، أما تنظيمها فيختلف من لغة إلى أخرى، فنقول في العربية . مثلا . لا أعرف، وهو الشكل الذي جاءت فيه فكرة عدم المعرفة، وهذا الشكل يختلف باختلاف اللغات، في حين نجد مادة التعبير واحدة في بعض اللغات، مثلا الكلمة "Got " يختلف معناها من لغة إلى أخرى، ففي الألمانية "Gott " تعني الله، وفي الإنجليزية *Got* " تعني "حصل على "، أما في الدانماركية فتعني"Godt " جيّد، هذه الكلمات تنطق نطقا واحدا، فهي إذن واحدة بالنظر إلى مادة التعبير، إلاّ أنها تختلف في المعنى، لدينا مادة تعبيرية واحدة وأشكالا تعبيرية مختلفة، ويسمّي "يلمسليف" هذه الأشكال بـ "Figures".

ومن هنا فمستوى التعبير يتكون من الأصوات أو الفونولوجيا، ومستوى المحتوى يتكون من الأفكار والدلالة والنحو، والتركيب بينهما ينتج الأدلة، ويحلّل المستويان إلى مكونات نهائية لا تقبل التجزئة، وتسمّى: " الغلوسيمات Glossemes، وتنقسم إلى:

*** Cenemes: أي وحدات التعبير، وهو مصطلح اشتق من الإغريقية " Kenos «بمعنى " فارغ «، فمثلا: كلمة "حصان " تحلّل إلى: ح / ص / ا / ن.

*** Pleremes: أي وحدات المحتوى، وهو مصطلح اشتق من الإغريقية " Pléros " بمعنى " مليء "، فكلمة "حصان " تحلّل إلى: خيل، مفرد، حيوان، مذكر...الخ ، وهي المضامين أو المكوّنات الدلالية لهذه الكلمة، وتسمى عند علماء الدلالة بـ Sémes ".

إنّ تحليل المستوى التعبيري ينتج: * نصوصا كثيرة لا نهاية لها.

* جملا كثيرة غير محدودة.

* أجزاء من جمل غير محدودة.

* كلمات كثيرة لا نهاية لها.

ويتم في تحليل المضمون استبعاد بعض الوحدات اللغوية من التحليل، لأنها تتضح من خلال ارتباطها بوحدات لغوية أخرى، فمثلا لدينا الوحدات: كبش، نعجة، خروف، يمكن استبعاد الوحدة اللغوية:"خروف" لأنها تتضح ارتباطيا من خلال علاقتها بوحدات أخرى، وهي: "كبش ونعجة "، و"يلمسليف" هنا يتعامل مع محتويات الكلمات دون اهتمام بالكلمات في حدّ ذاتها، أما طريقة الارتباط فتتمثل في أنّ الكبش هو الخروف.

إنّ هدف " يلمسليف " من هذا التقسيم الإشارة إلى الموضوع الأساس للسانيات وهو الجانب الشكلي والصوري للغة، ودعوة إلى إقصاء الجانب المادي، وكذلك الوصول إلى نظرية صورية منطقية تتعارض مع النظرية الذهنية Mentalisme التي عرفت عند " سابير Sapir "، والتي تقوم على الحدس اللغوي، والتي عرفت كذلك عند التوليديين (تشومسكي

Chomesky)، الذين يرفضون الاعتماد على المنهج الاستقرائي في دراسة اللغة، وينادون بالاعتماد على مبدأ الاستنتاج المنطقي، وتتعارض كذلك مع النظرية السلوكية Behaviorisme التي عرفت عند "بلومفيلد Bloomfield " والتي تعتمد على علم النفس السلوكي وترفض المنهج الذهني، لذلك يعتبر" يلمسليف " الصوتيات وعلم الدلالة علمين مساعدين للسانيات، وليسا علمين منها، وهذا ما يوضّحه الشكل الآتي[37]:

بنية اللغة

مادة التعبير

مادة المحتوى

(الأصوات)

(الأفكار)

الصوتيات

علم الدلالة

شكل التعبير

شكل المحتوى

(النظام الصوتي

(البنية التركيبية للغة)

[37] – المرجع السابق، ص 188.

والمعجمية)

اللسانيات

. منهج "يلمسليف" في التحليل اللساني[38]:

ذكر "يلمسليف" خطوات المنهج الغلوسيماتي في مقدمته، مؤكّدا أنّ اللساني يهدف إلى كشف خصائص اللغات من أجل استنباط كليات لغوية Linguistique Universelle وتعريفها بالتدقيق، وكان مفتاح تحليله للغة هو اللسانيات المحايثة المتكاملة في ذاتها المبنية على منهج استنباطي موضوعي، فمبدأ " سوسير " القائل بأنّ اللسانيات هي دراسة اللغة في ذاتها ومن أجل ذاتها أصبح يسمّى عنده مبدأ المحايثة، وهذه اللسانيات المحايثة عبارة عن نظام تحليلي مستقل عن الظواهر غير اللغوية والمعطيات الفيزيائية والفيزيولوجية والسيكولوجية والاجتماعية، فهي تنظر إلى اللغة على أنها صورة أو شكل (نظام من الصور)، وجميع اللغات تشترك في أنها تعبّر عن محتوى، وما دامت اللغة هي بنية وشكل ونظام فريد قائم بذاته، استدعى ذلك أن توضع لتحليلها نظرية صورية رياضية تصدق على جميع اللغات، وهذا التحليل يتسم بالانسجام (الوصف خال من التناقض) والشمول (يكون الوصف مستوعبا لجميع المعطيات اللسانية) والبساطة، هذا فإنّ هذه النظرية استنباطية تشتمل على مبدأ الكلية Totalité ، وهي قابلة للتطبيق على جميع اللغات الإنسانية.

[38] – المرجع السابق، ص 193.

ينطلق التحليل عند "يلمسلف" من مدوّنة نصيّة، أي من النص Texte، الذي يعود وجوده إلى الإجراءات العملية التي ولّدته وفق قوانينها، وليس إلى كونه له وجود سابق كخطاب غير متميّز، فالنص عند "يلمسليف" عبارة عن جملة من الاستنتاجات المنفصلة عن المحتوى (أي الخطاب أو الحديث)، والمجسّدة في قضايا خاضعة لمتطلبات المنطق الصوري، والنص يمكن أن يكون في شكل كلام أو كتابة أو نقش، فإذا تكوّن من سلسلة من الأصوات الكلامية في لغة معيّنة عبر حقبة زمنية، كان نصا مقيّدا، وإذا كان يتكوّن من كلّ الأصوات الكلامية في لغة معيّنة، كان غير مقيّد.

ويبدأ المنهج الغلوسيماتي في التحليل دائما بالوحدات الكبرى ثم الصغرى فالأصغر منها، فالنص سواء أكان مكتوبا أو منطوقا، يتميّز بقابليته للتقسيم إلى أجزاء صغرى: فقرات وجمل ومفردات وحروف أو أصوات، وهذا المنهج استنتاجي يراعي في دراسة اللغة مبادئ التحليل العقلي القائم على استنباط الجزء من الكل، ويكون ذلك بالانتقال من الكل إلى الجزء عن طريق استخدام التحليل الاستنتاجي المعتمد على مقولات المنطق والرياضيات، ويرفض الانطلاق من التجربة المباشرة للوصف اللساني، أي الاعتماد على المادة الصوتية للغات، وهو عكس المنهج الاستقرائي الذي يقوم على المشاهدة والاختبار، أي معاينة الجزء واختباره من أجل الحصول على قواعد الكلّ وقوانينه.

ولقد استعملت هذه النظرية بعض القواعد التقليدية لصياغة إجراءاتها والتعريف بقوانينها، فمثلا تناولت قضية التمييز بين الصائت والصامت، وقالت بأنّ الصائت يمكن أن

يوجد وحده في مقطع، في حين لا يمكن للصامت أن يوجد في مقطع دون وجود صائت معه، والشيء نفسه بالنسبة للصفات، إذ أنّ الصفة دائما تتبع الموصوف في الجنس والعدد والحالة، ولهذه النظرية أيضا تعريفات خاصة بالتصريف والإعراب وبنية الجمل، ومن الصيغ التي ترد بصورة كبيرة في هذه النظرية عند الوصف والتعريف الصيغة الآتية:" إذا كانت س موجودة في شيء لا بد أن تكون ع موجودة أيضا "، ومثال ذلك:" إذا وجد صامت في مقطع معيّن وجب أن يوجد معه صائت ".

وتقوم هذه النظرية عند تعريفها للصوائت والصوامت بعملية إحصاء لمختلف العلاقات الممكنة بين أجزاء المقطع الواحد (علاقات تركيبية وعلاقات استبدالية)، وهي طريقة شكلية تختلف عن طريقة "سوسير" الذي يرى . مثلا أنّ العلاقة الاستبدالية تقوم على أساس تداعي الأفكار أو تشابه المدلولات، ومن هنا فإنّ دراسة اللغة بهذه الطريقة تفضي إلى إرساء قواعد لا تعتمد على أيّ علم آخر كعلم النفس والاجتماع وغيرها.

وثارت هذه المدرسة على الأساليب الأدبية القديمة التي اعتاد النحويون على استعمالها في تقنين قواعد اللغة، وحاولت عصرنة الدراسات اللغوية باستخدام مناهج علمية رياضية، لكن هذا التصور الجديد للغة أضفى على هذه المدرسة نوعا من الصعوبة، فلم تعرف الإقبال الواسع عليها، وذلك يعود إلى المصطلحات الغريبة ومجموعة القوانين الرياضية والجبرية التي استعملتها لشكلنة التحليل الوصفي، وإضفاء الصبغة العلمية والدقة على كلّ الدراسات اللغوية، حيث بالغت في ذلك في رأي بعض علماء اللسانيات، ومن

هؤلاء " فيرث Firth "، إذ يعد فيرث أول من درس اللسانيات دراسة علمية متميزة . درس التاريخ في المرحلة الأولى في الجامعة قبل تنقله كجندي في مقاطعات مختلفة من الإمبراطورية إبان الحرب العالمية الأولى[39]. الذي يرى بأنّ هذه النظرية مجرّدة ومنطقية ورياضية، وصاحبها غالى في المبادئ التي نادى بها " سوسير " تأويلا واستنباطا وتطبيقا مغالاة لا توحي بها كتابات "سوسير"، ومع ذلك فهي في نظره نظرية بارعة في عمومها وشمولها ومداها، لكنها لم تطبّق حتى الآن تطبيقا كاملا على لغة من اللغات حتى الدانماركية (لغة صاحبها)).وربما من الأجدر أن تعدّ النظرية نوع من الرياضيات الخالصة، ومن الانتقادات التي وجهت إليه كذلك أنّ منهجه غريب، فهو من جهة يعمل على الالتزام بالمنهج التجريبي في تحليل النظام اللغوي (وهذا سائر البنيويين)، ومن جهة ثانية يحرص على إتباع المنهج الاستنتاجي الذي يعتمد على الرياضيات المنطق، هذا الموقف الغريب من الأسباب التي قادت هذه المدرسة إلى الفشل في تطبيق نظرياتها بشكل عملي على جميع اللغات، كما أوقعتها في التناقض، وتلقى الكثير من النقد كذلك في مسألة إقصائه للمادة الصوتية وإهمالها إهمالا كليا، عكس "سوسير" الذي رفض فقط اعتبارها غرضا جوهريا في الدراسة ، واعتبرها المجال المحسوس والملموس، وعلى الرغم من هذه الانتقادات التي وجهت إليها، إلاّ أنها لا تزال تتمتع بمكانة عالية، والدليل على ذلك ظهور "اللسانيات الرياضية Linguistique Mathematique " في الفترة الأخيرة.

(39)- ينظر : إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية مكتبة ،الأنجلو المصرية، ط 5 ،1975، ص 31.

المحاضرة السابعة

المدرسة الوظيفية الفرنسية.

المدرسة الوظيفية هي الأخرى من المدارس التي تأثرت بالفكر السويسري وسارت على خطاه ومبادئه.

إذن النظرية الوظيفية هي بطبيعة الحال نظرية لسانية منبثقة من أفكار دي سوسير، ومن أهم رواد هذه النظرية نذكر: أندري مارتيينه الذي يعدّ " من أعلام الفونولوجيا، وشارك في أعمال مدرسة براغ اللسانية، قبل أن يدرس في جامعة الدانمارك وبعدها في جامعة كولومبيا، وشغل سنة 1984 منصب مدير المجلة اللسانية النيويوركية "الكلمة" وفي سنة 1960 شغل منصب أستاذ في السربون ومنصب مدير الدراسات اللسانية في معهد الدراسات العليا بباريس[40] ،من أعلامها أيضا رومان جاكبسون ، نيكولاي تروبتسكوي ، فيلام ماثيزيوس ...

قبل الحديث عن هذه النظرية وأهم مبادئها، يجب أن نحدد الإطار المفاهيمي للوظيفة والوظيفية

و ذلك من خلال بعض التعاريف اللغوية حيث جاء في لسان العرب: " وظف الوظيفة من كل شيء: ما يقدر له في كل يوم من رزق أو طعام أو علف أو شراب وجمعها الوظائف أو

[40]- فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، دراسة ونصوص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، لبنان، 1993، ص 270.

الوظف. ووظف الشئعلى نفسه ووظفه توظيفا ألزمه إياه، و قد وظفت له توظيفا على الصبي كل يوم حفظ آيات من كتاب الله عز وجل "[41]

ظهرت هذه المدرسة على يد العالم اللغوي الفرنسي "أندري مارتيني André Martinet"[42] ، وهي من المدارس التي اقتفت أثر "سوسير" في إبراز أهمية الوظيفة الإبلاغية للغة، و " مارتيني" يعتبر امتدادا طبيعيا لـ "تروبتسكي"، إذ اعتمد في دراسته للأصوات الوظيفية على أفكار هذا اللساني وعلى مبادئ مدرسة براغ بصفة عامة.

---

[41] –ابن منظور: لسان العرب،مادة وظف.

[42] ولد سنة 1908 في مقاطعة "السافوا" بفرنسا، واختص باللغة الإنجليزية ثم اللسانيات العامة، حيث كان له الحظ وتابع دروس "فندريس Vendryes و " مايي Meillet "، نال شهادة الدكتوراه في دراسة اللغات الجرمانية سنة 1937م، ومن 1932 إلى 1938 كانت له اتصالات مكثفة مع علماء حلقة براغ اللّغويّة وبخاصة مع " تروبتسكوي "، كما شارك في أعمال هذه الحلقة التي كانت تذيع أعمالَها بانتظام؛ وتأثّر كذلك بأعمال حلقة كوبنهاجن إذ كان يتابع عن كثب تطور نظرية النسقية (Glossématique) بفضل الإقامات المتكرِّرة بالدانمارك وأواصر الصداقة التي كانت تربطه باللّساني يلمسلف من 1946 حتى 1955، وعيّن في سنة 1946م مديرا للمجلة العلمية اللسانية النيويوركية " الكلمة "،وقد سبق له أن كان مديراً للدراسات الفنولوجية بالمدرسة التطبيقية للدراسات العليا في عام 1938، وفي الحرب العالمية الثانية ألقي عليه القبض وأودع السجن، فاغتنم الفرصة هناك، وألّف كتاباً قيّماً بعنوان " نطق الفرنسية المعاصِرة " معتمِداً في ذلك على أربعمائة راوية، ثم استقرّ شيئًا ما بالولايات المتحدة الأمريكية حيث التفت أيضاً إلى المناهج الوصفية والوظيفيّة التي جادت بها المدرسة السلوكيّة الأمريكيّة بزعامة بلومفيلد، وشغل منصب الأستاذ الجامعي بجامعة كولومبيا من 1947 إلى 1955 وكان حينئذ رئيساً لقسم اللّسانيات؛ ومن ثمّ عاد إلى مدرسة الدراسات العليا عام 1955، ثمّ التحق بجامعة السربون بباريس ومكث يلقي الدروسَ من 1956 إلى 1978، وشغل منصب مدير الدراسات اللسانية في معهد الدراسات العليا بباريس، ومن مؤلفاته: مبادىء اللسانيات العامة، اللسانيات الآنية، اللسانيات الوظيفية، الفونولوجيا كنوع من الصوتيات الوظيفية، نظرة وظيفية للغة...الخ

. مبادىء هذه المدرسة:

. وظيفة اللغة : الوظيفة الجوهرية للغة عند "مارتيني" هي التواصل بين أفراد المجتمع اللغوي، هذه الوظيفة تؤديها اللغة باعتبارها مؤسسة إنسانية، رغم اختلاف بنيتها من مجتمع لغوي إلى آخر، وهذا لا يعني أنه ينفي الوظائف الأخرى التي تؤديها اللغة بل يعتبرها ثانوية أو هامشية، يقول "مارتيني":"إننا لنحترز من أن ننسى أنّ اللغة تستعمل لوظائف أخرى غير تلك التي يتم بها التفاهم بين متكلّميها "، واللغة عنده ليست نسخا الأشياء كما هي في الواقع أو نقلا آليا لها، بل هي بنى منظمة ومتراصة ومتكاملة يتطلّع المتكلم من خلالها إلى عالم الأشياء والأحاسيس، وهو ما ينتج الخبرة الإنسانية، فتعلّم لغة أجنبية لا يعني وضع علامات جديدة لأشياء مألوفة لدى المتكلم، إنما هو اكتساب نظرة تحليلية مغايرة في إطار التواصل، بالتعرّف على البنى اللغوية الجديدة التي تعكس الواقع بطريقة مختلفة عن اللغة الأم، يقول:" والواقع أنّه ما من لسان إلاّ وله تنظيم خاص لمعطيات التجربة، وإنّ دراسة لسان ما لا تعني وضع موسومات جديدة على مواضع معروفة، ولكنها تعني التعوّد على التحليل بطريقة مغايرة، وذلك ما يكوّن التبليغ اللساني"[43].

[43] – شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع – لبنان – الطبعة الأولى– 2004 ص 36.

. <u>التقطيع المزدوج</u> [44]:

وتكمن مقدِّمات هذا المفهوم في كثيرٍ من المبادئ التي أرساها دي سوسير، وكأنّما راعى أندري مارتيني الأواصر الرابطة بينها فوضعها في شبكة وجاء بنظريّته حول التقطيع المزدوج[45] (La double articulation)، وهي:نظاميّة اللّغة، الخلافات والعلاقات، خطيّة الدال، المحور التّركيبيّ، المحور الاستِبداليّ، الطّابِع التّفاضُليّ لِوحدات اللُّغة، والتّقابُلات المُمكِنة والممكِّنة لاستبدال الأصوات بعضها بالبعض، أي التّقطيع والتّعويض.

فمن المتّفَق عليه أنّ اللُّغة نِظامٌ مِن الأدلّة والعلاقات، أيّ لا تتواجد وحداتُها إلاّ في نِطاق العِلاقات الّتي تربِطها بِغيرها مِن الوحدات التّابِعة لِنفس النّظام' ولا تتحدّد إلاّ بِاعتِبار وظيفتها ضِمن المَجموع، وهذا ما صرَّح بِه *ف. دي سوسير* في قوله:« وهكذا فإنّ كلّ شيء في حالة لُغويّةٍ ما إنّما يَقوم على العِلاقات »، ولقد ذهبَ *سوسير* إلى أنَّ الأَصوات، أو الصُوَّر المَكتوبة، والمَعاني في لُغة ما، لا توجد إلاَّ مِن العِلاقات القائِمة بَينَ بعضِها وبعض،وهي تَنتمي إلى نِظامٍ مِن العِلاقات؛ ولا وجود قبلَ هذا النِّظام، لا لِلأَصوات ولا لِلمعاني؛ فَهي إنَّما تَصدُر عن هذا النِّظام، ولِكي يُبيِّن *سوسير* أنَّ المَعاني لا توجد قبلَ أن يوجد النِّظام في لُغةٍ بِعيْنِها، فَقد اتَّجه إلى ظاهِرة تَعدُّد اللُّغات، غير أنّه لكلِّ لغة طريقتها في تقطيع الواقع، وهذا المفهوم محوري عند الوظيفيين.

---

[44] – المرجع نفسه، ص 43.

[45] – أندري مارتيني، وظيفة الألسن وديناميتها، ترجمة ناذر سراج، دار المنتخب العربي للنشر والتوزيع، بليروت، لبنان، ط 1، 1996، ص 33

ويُؤكِّد *دي سوسير* أيضاً أنّ تِلك الوحدات تنتظِم عبر نوعيْن مِن العِلاقات، فهناك علاقات تركيبية تنجم عن توظيف الوحدات بِمُراعاة تسلسُلها في مدرج الكلام، فتأتي التّركيبات القائمة على عُنصُرين فأكثر والمُمكِن إنشاؤُها في ترتيب مُعيّن سيفقِد التّركيبُ مَعناه وقيمتُه إذا اختلّ ترتِيبه (نِظامُه) وقد يكتسِب ذلِك التّركيب جرّاءَ ذلِك التّغيير قيمة أخرى، ويتحكّم فيه كلٌّ مِن خاصيّة الخطيّة الّتي تتميّز بِها اللُّغة وكذا التّقطيع المُزدوج، وعلاقات استبدالية،وتتمثل في العلاقات الّتي ترتبِط عبرها الكلِمات بعضها بِالبعض في ذِهن المُتكلِّم وبِاستِحضارِها عن طريق الذّاكِرة.

وهناك مفهوم سوسيريّ بنى عليه أندري مارتيني نموذجَه التّحليلي المستمدّ من مفهوم التقطيع المزدوج، وهو الطّابِع التّفاضُليّ لِوحدات اللُّغة، ويتمّ وفق هذا الطابع تمييز أيّ وحدة لُغويّة، وتحديد وظيفتها في السّياق اللّغويّ بِما تختلِف عن غيرها داخِل نِظامٍ واحِد، فمثلاً وحدة /دار/ تختلِف عن وِحدة /سار/ باختِلاف فونيم /س/ عن فونيم /د/، ويحدث جرد الوحدات الصّوتيّة لأيّ لُغة باستِعمال التّقابُلات المُمكِنة واستبدال الأصوات بعضها ببعض، فالكلِمتان السّابِقتان قوبِلتا باستِعمال التّقطيع والتّعويض.

وهكذا بعد عرض المفاهيم التي يقوم عليها التقطيع المزدوج، يمكن تعريفه بالقول إنّه أساس نظرية "مارتيني"، الذي يرى أنّ اللسان البشري يختلف عن بقية الوسائل التبليغية لكونه مزدوج التقطيع، ويعني التقطيع عنده تنظيم اللسان البشري تنظيما خاصا يتم بموجبه تجزئة التجربة الإنسانية إلى وحدات تقام على مستويين مختلفين هما: مستوى التقطيع الأول

ومستوى التقطيع الثاني. انطلاقا من هذا يكون التقطيع المزدوج قانونا أساسيا من قوانين اللغة البشرية[46]

. مستوى التقطيع الأول La premiere articulation"

وفيه نحصل على وحدات لسانية ذات دلالة (مدلول) وأصوات (دال) غير قابلة للتجزئة إلى وحدات أصغر ذات دلالة، يقول " مارتيني" :"فالتقطيع الأول للغة هو ذلك الذي يقوم على أنّ كلّ ظاهرة من ظواهر التجربة البشرية نريد تبليغها، أو كلّ حاجة من حوائجنا نودّ تعريف غيرنا بها تحلّل إلى متوالية من الوحدات لكلّ منها صورة صوتية ومعنى"، وتسمى هذه الوحدات بالمونيم Monemes ، وهو مصطلح تقابله في العربية كلمة اللفاظم ومفردها لفظم،والمونيم أو اللفظم عند الوظيفين يعدّ بديلا للدليل عند "سوسير"، وهو وحدة مزدوجة ذات وجهين: دال ومدلول، مثال: اشتريت قلما، جملة تحتوي على ثلاث مونيمات متتابعة (دال + مدلول)، وهي : اشتري / ت / قلما، وهي وحدات دنيا يستحيل تحليلها إلى وحدات دالة أصغر منها، ويمكن استبدالها بوحدات أخرى ضمن قائمة مفتوحة مثل خبز، طاولة، سيارة ...الخ، كما يمكن استبدالها في جملة:بعت قلما بوحدات أخرى ضمن قائمة مغلقة مثل: قلمي، قلمك، قلمكم، قلمه ...الخ

(46)- ينظر بوقرة نعمان، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، الطبعة الأولى، 2006، ص 117.

وتستعمِل المدرسة التّوزيعيّة مُصطلح (Morphème) (مورفيم) لِيُؤدّي مَفهوم (مونيم)، ويمكن تجزئة المونيم حسب النّحو الوظيفيّ إلى وحدتيْن:

*** الوحدة المعجميّة *(Lexème)*: وهو ما يتغيّر بتوزيع الكلمة على المحور الاستبدالي (Axe paradigmatique)، إذا أردنا أن نحصُل على قيمةٍ مُتميِّزة (معنى آخَر).

*** الوحدة الصّرفية النّحوية (Morphème): هو ما يتغيّر بتوزيع الكلمة على المحور التّركيبيّ *(*Axe syntagmatique).

. مستوى التقطيع الثاني La deuxieme articulation:

وفيه يتمّ تحليل الوحدات الدالة (المونيمات) إلى وحدات صوتية دنيا غير دالة في ذاتها، لكنها مميّزة،أي قادرة على تغيير المعنى، يمكن تقطيع المونيمات إلى وحدات صغرى مجردة من كل دلالة ولكنها مميزة تسمى بالفونيمات وهي محصورة في كل لسان[47]. ومن ثمّ كانت لها وظيفة تمييزية، وتسمّى هذه الوحدات بالفونيمات Phonemes أو الصواتم ومفردها صوتم، وهي محدودة في كلّ اللغات، مثال: المونيم: "قلمي" يقطّع إلى أربع فونيمات وهي: ق/ل/م/ي/.

[47]- سليم بابا عمر وبائي عميري، اللسانيات العامة الميسرة (علم التراكيب) الجزائر، 1990، ص 74.

. الاقتصاد اللّغويّ[48]: نظرًا لخاصية التقطيع المزدوج للّغة، فمن شأنها أن تحقّق ما أسماه الوظيفيون الاقتصاد اللغويّ، ويُعدّ أندري مارتيني (André Martinet) أشهر مَن أفصح عن تلك الخاصية وبِشهادة جورج مونان (Georges Mounin)، الّذي يعتبِر الطّابِع ذاتَه « الصّفة الّتي يَبدو أنّها تُميِّز نوعيًّا اللُّغات البشريّة عن جميع أنظِمة الإبلاغ الأخرى».

فقبل تطرّق المؤلِّف إلى معالجة ظاهرة الاقتصاد اللغوي في عنصر التقطيع المزدوج واقتصاد اللغة، سبق له وأن أورد مصطلح économie مرتين وذلك عند عنصر: التقطيع المزدوج للغة، وأظهر "مارتيني" الدور الاقتصادي للتقطيع المزدوج، فهو الذي يمكّننا من الحصول على أداة للتبليغ بأقلّ جهد، يقول:" إنّ نوع التنظيم الذي عرضناه سابقا يوجد في كلّ الألسن التي تمّ وضعها حتى اليوم، ويظهر أنّ هذا التنظيم قد فرض نفسه على المجموعات البشرية بصفته الأنسب إلى حاجات الإنسان وإمكانياته، لا شيء غير الاقتصاد الناجم عن التقطيعين يمكّن من الحصول على أداة للتبليغ، أداة ذات استعمال عام قادرة على إيصال المعلومات بمقدار وبجهد زهيد".

. مبدأ الخطية [49]: تحيل دراسة الوظائف اللغوية إلى خطية اللغات، فاللغة سلسلة من العلامات الخطية المتتالية يتبع بعضها البعض في الجمل، فالصواتم يتلو الواحد منها الآخر

---

[48] – شفيقة العلوي، المرجع السابق، ص 46.

[49]– نعمان بوقرة، محاضرات في المدارس اللسانية، ص 124

في اللفاظم، واللفاظم يتبع بعضها البعض في الجمل، ولا يمكن التلفظ بصوتمين أو لفظمين في الوقت ذاته.

إنّ هذه الوحدات لها ما يربطها فيما بينها، وتتحدّد وظيفة كلّ وحدة انطلاقا من علاقاتها مع غيرها، ودراسة هذه العلاقات بين الوحدات لا تكفي لتحديد وظيفتها، بل يجب معرفة موقعها داخل التركيب وفق ترتيب معيّن، كما يركّز على المحتوى الدلالي للمونيم، هذا المحتوى الذي يجعله يؤدي وظيفة مميّزة داخل التركيب.

. المبادئ الوظيفية للدراسة اللسانية:

. الدراسة الفونولوجية (الصوتمية):

إذا كانت حلقة براغ قامت . كما رأينا . بفصل الصوتيات الوظيفية (Phonologie) عن الصوتيات (Phonétique)، فإنّ أندري مارتيني ساهم مساهمة فعّالة في إزالة هذا الفصل، الذي وضعه أصحاب هذه الحلقة، وعدّ الفنولوجيا نوعاً من الفونتيك الوظيفية Phonologie Fonctionnelle، ولم يمنعه تأثيره بهذه الحلقة أن يكون من المنظّرين البّاقين في ميدان الصوتيات الوظيفية التعاقبية أو الزمانية (Phonologie diachronique)، التي كان يهدف من خلالها إلى تفسير تطور اللغة باستعمال مصطلحات بسيطة لا غموض فيها، من مثل: اللغة Langue، الجملة Phrase، الفونيم Phoneme، السمة المميّزة Trait pertinent، والمونيم أو اللفظم Monéme.

وترمي الدراسة الفونولوجية إلى تصنيف ما في اللغة من عناصر صوتية حسب وظيفتها في اللغة، ولاتهمها السمات الصوتية للصواتم في حدّ ذاتها، إنما ما يهمها هي الوظيفة التي تقوم بها في التبليغ، فمقياس الوظيفة هو الأهم والحاسم في ضبط جدول الأصوات التي تتضمنها كلّ لغة، فإذا كان للصوت دور في التمييز بين الوحدات المفيدة اعتبر صوتما، وإلاّ لا يكترث له اللغوي، مثال: الدارس لا يمكن أن يقرّ بوجود صوتمين مختلفين في كلمتي:" جمل وجمل (باللهجة المصرية)" ، لأنّ هاتين الوحدتين لا تفيدان معنيين مختلفتين، فهو لا يقرّ إلاّ بوجود وحدة واحدة تمييزية.

إنّ أساس التحليل الصوتمي[50] هو ما يسمّى بالوظيفة التمييزة La fonction distinctive ، أي التمييز بين الوحدات المفيدة، وما يسهّل عمل اللغوي هو أنه يمكن وصف النظام الصوتمي في اللغة على أساس هذه الوظيفة فقط، لأنّ الصواتم ليس لها وظائف متعدّدة، كما أنّ التحليل لا يحتاج إلى تجاوز الصبغة الخطية في الكلام، فمرتبة الصوتم مفيدة في حدّ ذاتها، و هذا ما سمّاه بالوظيفة الفاصلة la fonction demarcative ، والتي تمكّن السامع من تحليل القول إلى وحدات متتابعة، ومثال ذلك "catو act "في اللغة الإنجليزية، فهذه الوحدات تؤدي وظيفتها لا باختلاف بعضها عن بعض صوتيا، إنما باختلاف مرتبة كلّ واحدة منها في الوحدتين المعنيتين، وتحدث "مارتيني"

[50] نعمان بوقرة، المرج السابق، ص 177.

عن وظيفة ثالثة للعناصر الصوتية، وهي الوظيفة التعبيرية La fonction expressive التي تعلم السامع عن الحالة العقلية أو الفكرية للمتكلم.

ويعتمد منهج الدراسة الصوتمية أساسا على التعويض La commutation، فاللغوي عند تحديد صواتم اللغة يقارن بين الوحدات المفيدة، ويعوّض أصواتها بأخرى ليتأكّد من حقيقة الصواتم التي تتكون منها، مثال: يمكن الانطلاق من الوحدة "قام" للبحث عن حقيقة الصوت الأول (القاف)، فإذا ما بحث في اللغة وجد مثلا: نام، صام...الخ، وكلّ هذه الوحدات يختلف بعضها عن بعض معنويا، وهذا يقتضي أن يقرّ بوجود الصواتم الثلاثة في العربية أي القاف والنون والصاد.

. الدراسة التركيبية:

عرّف "مارتيني" الجملة بقوله:" هي كلّ ملفوظ تتصل عناصره بركن إسنادي وحيد، أو متعدّد عن طريق الإلحاق"[51] ،وهو يركّز على الطبيعة التسلسلية للجملة، واستطاع أن يطوّر التحليل التركيبي للجملة انطلاقا من النتائج التي وصلت إليها الدراسة الفونولوجية، فوضع الخطوط الأولية لهذا التحليل، الذي يقوم على أساس وظيفة العناصر اللسانية في التركيب وطرق ترتيبها، وقد تخلّى عن مصطلح "كلمة" لما قد يحدثه من اضطراب في المفاهيم، فهو يطلق على وحدات مثل: من، على، هل...الخ، ويطلق كذلك على وحدات مثل: خرج، أخرج...، وهي ليست وحدات دنيا، إذ تتكون من عناصر لها وظيفتها، مثلا: أخرج تتكون

[51] – أندري مارتيني، وظيفة الألسن وديناميتها، ترجمة ناذر سراج، ص 23.

من فعل الخروج وصيغة الأمر، وهذا الأمر موجّه إلى المخاطب المفرد المذكر، لذلك استعملت المدرسة الوظيفية مصطلح " Monéme "، للتعبير عن هذه الوحدات.

هناك نوع من التوازي في المنهج بين الدراسة الصوتمية والدراسة التركيبية، ويتمثل في:

. إنّ أوّل ما يبادر به في التحليل الصوتي هو تحليل الوحدات الدنيا المتتابعة أي الصواتم، وكذلك أوّل ما يبادر إليه في التحليل التركيبي هو تقسيم الملفوظ إلى وحدات دنيا متتابعة مفيدة وهي اللفاظم.

. إنّ تحديد الأجزاء (Segments) تمثّل في الحالتين اختيارا توخّاه المتكلم، وذلك من أجل الحصول على دال بعينه، مثل اختياره للنون في "نام" عوض القاف، أو من أجل تبليغ رسالة بعينها، مثل اختياره لمونيم "جاء" عوض "غادر" في "جاء محمد".

هذا التناظر بين التحليلين ليس تاما ذلك أنّ التحليل التركيبي تظهر فيه بعض المشاكل، إذ لا يمكن تحليل التركيب دوما إلى وحدات دنيا متتابعة، فالعناصر الدالة في الجزء الواحد من أجزاء الملفوظ تتداخل تداخلا يحول دون تحليله إلى دوال متتابعة، مثال: ضرب، لا يمكن أن نحلّله على أساس تتابع الدوال التي تعبّر عن المدلولات، يمكن فكّ الدال المفيد للغائب المفرد، لكن لا نجد فيما بقي دالا على البناء للمجهول مستقلا عن الدال المفيد

لمعنى الضرب، تابعا له أو متقدّما عليه، هذه الظاهرة التي تعقّد التحليل التركيبي عبّر عنها بمصطلح "المزج Amalgame ".

ومن هذه المشاكل أيضا أنّ تتابع الوحدات المعنوية قد يكون مفيدا مثل قولنا: ضرب عيسى موسى، فمرتبة الدال ترجمت وظيفته، وقد لا يفيد شيئا مثل قولنا: "سأسافر غدا" فلا يمكن الاعتماد على مرتبة "غدا" لتحديد وظيفته، لأننا يمكن أن نقول " غدا سأسافر"، فتدخل المعنى في الدراسة التركيبية يجعل من ظاهرة تتابع الدوال ظاهرة محدودة الفعالية في دراسة التركيب، عكس الدراسة الصوتمية.

وحاولت النظرية الوظيفية تجاوز هذه الصعوبات، وذلك بتصنيف لفاظم اللغة إلى[52]:

. اللفاظم المستقلة: Monemes autonomes:

وتسمّى عند البعض بلفاظم مكتفية بذاتها، وهي وحدات دالة تتضمن في ذاتها ما يدلّ على وظيفتها، أي وحدات غير تابعة لتراكيب أخرى، وتتمثل في الظروف مثل: اليوم، غدا، أحيانا، حيث، بعد، قبل، وكذلك الفعل. ومثّل لها "مارتيني" بالمثال الآتي: Hier il y avait fête au village، فالوحدة "أمس" لها حرية الموقع، حيث يمكننا وضعها في أول التركيب أو وسطه أو آخره.

[52] – أندري مارتيني، المرجع السابق، ص 35.

. اللفاظم الوظيفية Monemes fonctionnelles[53]:.

هذه اللفاظم لا وظيفة لها في حدّ ذاتها، بل تحدّد وظيفيا غيرها، بمعنى أنها تساعد على تحديد وظيفة عناصر أخرى، التي لا يمكن لها الاستقلال داخل التركيب الذي ترد فيه، ومن ثمّ تكسبها استقلالا وظيفيا، وتتمثل في حروف الجر، حروف العطف، أدوات النصب، والجزم، النداء...الخ، مثال: اللفظم الوظيفي " من " في قولنا:" عاد الطالب من الجامعة" لا وظيفة لها في حدّ ذاتها، لكنها تجلب للاسم الذي يأتي بعدها (الجامعة) وظيفة فيعتبر اسما مجرورا.

. اللفاظم التابعة Monemes dépendants:

هي اللفاظم التي لا توحي بذاتها بنوع العلاقة التي تحصل في الملفوظ بينها وبين غيرها، فهي مقترنة باللفاظم الوظيفية التي تحدّد وظيفتها، بمعنى أنها تكون دائما تابعة لوحدات أخرى، مثل: الاسم المجرور المقترن بحرف الجر، وهناك لفظم تابع مقيّد بالموقع تحدّد وظيفته من خلال موقعه، فتغيّر الموقع يؤدي إلى تغيّر وظيفته النحوية، مثال: زرنا حديقة الحيوانات "، الحيوانات" مضاف إليه وهي لفظم مقيّد بالموقع.

[53] – أندري مارتيني، وظيفة الألسن وديناميتها، ص 63.

. المركبات النحوية المكتفية بذاتها Syntagmes autonomes:

هناك من اللفاظم ما يلتحم بعضها البعض التحاما شديدا، وتسمّى " مركبات نحوية Syntagme"، وهنا يكون للوحدات الوظيفية دور كبير في ربط هذا التركيب ببقية عناصر التركيب، مثل: الجار والمجرور، المضاف والمضاف إليه، الصفة والموصوف...الخ

وينبغي اجتناب الخلط بين اللفاظم الدالة على الوظائف واللفاظم المقامية Les modalités، مثل التي تفيد التعريف (ال) أو زمن الفعل، فأداة التعريف مثلا وحروف المضارعة لا تدلّ في حدّ ذاتها على وظيفة، ما لم تلتحم بلفاظم أخرى.

. المركب الإسنادي Syntagme prédicatif:

وهو النواة الأساسية للجملة، وأقلّ ما يمكن أن يكون عليه الكلام المفيد، وأدنى ما يقوم عليه الملفوظ في كثير من اللغات لفظمان: اللفظم الإسنادي Monéme prédicatif وهو الذي يجسّم محتوى الرسالة، وهو الفعل أو خبر المبتدأ (المسند)، ولفظم آخر يقحم في السياق، وهو عادة الفاعل أو المبتدأ (المسند إليه)، وكلّ ما يضاف إليهما يعتبر توسيعا أو فضلة أو إلحاقا، لأنّ الكلام يستقيم بدونها من الناحية الوظيفية، أي أنّ المعنى لا يختل بحذفها، فوظيفتها غير أساسية.

ومن هنا صنّفت هذه النظرية الوظائف إلى نوعين:

*** **وظائف أولية** Fonctions primaires: وهي التي تتصل مباشرة بالملفوظ باعتباره كلاّ لا بأحد عناصره.

*** **وظائف غير أولية** Fonctions non primaires: وهي التي تتصل بعنصر من عناصر الملفوظ، مثال: اشترى الأستاذ بماله كتابا قيّما من المعرض، فـ "اشترى، الأستاذ، كتابا" تعتبر وظائف أولية (وحدات مرتبطة ارتباطا مباشرا بالمركب الإسنادي) و"بماله، قيّما، من المعرض" وظائف غير أولية (وحدات مرتبطة ارتباطا غير مباشر بالمركب الإسنادي).

وهذا لا يعني أنّ كلّ الوظائف الأولية متساوية في الأهمية في الكلام، فالذي يتصدّر هذه الوظائف من حيث الأهمية هو ما يسمّى باللفظم الاستنادي Moneme prédicatif، ولا يكفي استعمال لفظم استنادي واحد، إذ لابد من لفظم آخر مقحم له في سياق معيّن، وكلّ ما يضاف إليهما يعتبر إلحاقا.

وقد ميّز "مارتيني" بين نوعين من الإلحاق أو التوسيع، وهما:

*** **<u>الإلحاق أو التوسيع بالعطف:</u>**

وهو الذي يحصل عندما يقوم العنصر المعطوف بوظيفة العنصر الذي سبق وجوده أي المعطوف عليه، فإذا حذف العنصر السابق لا تتغيّر بنية الملفوظ المعني بالأمر، مثال: حضر العلماء والأشراف، فإذا حذف العنصر الأولي (العظماء)، تصبح الجملة حضر الأشراف مطابقة للجملة الأولى(النواة).

*** **الإلحاق أو التوسيع بالإتباع:**

وتتمثل في أنّ وظيفة العنصر المضاف متميّزة عن العنصر السابق، وتتجسّم في:

* مرتبتها بالنسبة إلى العنصر الذي تتبعه، مثال: أكلت تفاحا، تعتبر "تفاحا" توسيعا بالإتباع، تدلّ عليه مرتبته بعد النواة الإسنادية.

* وجود لفظم وظيفي، مثال: اشتريت كتابا في النحو، تعتبر"في النحو" توسيعا بالإتباع يدلّ عليه اللفظم الوظيفي" في".

ومن المفاهيم التي جاءت بها المدرسة الوظيفية مفهوم الوحدات التركيبية، وهي أنواع[54]:

. اللفاظم البسيطة: وهي الوحدة الدنيا للتقطيع الأول، ويمكن استبدالها بوحدات أخرى على المحور الاستبدالي، مثل قولنا: الجو بارد، مكن استبدال " بارد" بـ: حار، لطيف، معتدل...الخ، ويمكن أن تستبدل الوحدة" نجيب" في مثل قولنا " أحمد طالب نجيب" بوحدات أخرى على المحور التركيبي مثل: أحمد طالب نجيب، هذا طالب نجيب، التقيت بنجباء القسم...الخ

[54] – أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، منشورات كلية الدراسات الإسلامية العربية، دبي 2013، لطبعة الثانية، ص 52-53

. اللفـاظم الممتزجـة: وتتحقق حين يكون الدال منطويا على مدلولين أو أكثر، ولا يمكن فصلهما من الناحية الشكلية، كما هو الشأن . مثلا . في صيغة جمع التكسير " أصحاب" لها مدلولان، أحدهما يرمز إلى معنى المفرد "صاحب"، وثانيهما يرمز إلى معنى الجمع.

. اللفـاظم المفروقـة: وهي عكس اللفاظم الممتزجة، وفيها يتجزأ الدال إلى جزئين أو أكثر لتحديد مدلول واحد غير قابل للتجزئة، مثال: فهمت الطالبة درسها، تدلّ على التأنيث في هذا المثال ثلاث علامات وهي: " ت " في "فهمت" و" ة " في " الطالبة " و" ها " في " درسها".

. اللفـاظم العدميـة أو الصفريـة: ويرمز لها أثناء التحليل بعلامة (0)[55] ، ويتضح ذلك في اللغة المكتوبة بوجود علامتين شكليتين هما: الفتحة والتاء المربوطة مع المؤنث، وغيابها مع المذكر، مثال: معلمة ـ معلم 0 (انعدام علامة التأنيث دلالة على أنّ الاسم مذكر)،كما تتجلّى في الأفعال، مثل: كتبت = كتب + ت ـ كتب 0 .

. اللفـاظم المشتركة: وهي عبارة عن دال واحد يتقاسمه مدلولان أو أكثر، ويمكن أن تستقلّ بمدلول واحد من هذه المدلولات، وذلك يتحدّد في السياق الذي ترد فيه، مثال: صيغة المضارع من الفعل" خرج" نجدها مع كلّ من المخاطب المفرد المذكر: "أنت"، والغائبة المفردة المؤنثة: "هي"، فنحصل على: تخرج.

---

[55]– عبد الرحمان حاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات، المجلد 2، عدد1 الجزائر ،1972، ص 54

. اللفاظم الاتحادية: هي وحدات قابلة للتحليل إلى وحدتين دالتين أو أكثر، إلاّ أنها تتصرف في تركيبها كمفردة واحدة، وتتحدّد لأداء وظيفة واحدة، قد تكون مضافا أو مضاف إليه، صفة أو موصوف، أسماء مركبة، مثل: قوس قزح، حديقة الحيوانات، أم كلثوم، جواز سفر...الخ

. الصيغة التركيبية: وهي مجموع لفظات لكلّ واحدة منها وظيفة خاصة، وتحتوي في أغلب الأحيان على وحدة وظيفية تحقّق لها الاستقلالية، فتكون وظيفتها غير مرتبطة بالموقع، مثال: السنة الماضية، بعد الظهر، فكلّ لفظة من هذه الصيغ التركيبية لها وظيفة، والتركيب كلّه يؤدي وظيفة.

هذه . إذن . أهم المفاهيم اللسانية والأسس المعرفية التي تأسست عليها المدرسة الوظيفية عند " مارتيني" الذي استطاع أن يتوصّل إلى تمييز عناصر بسيطة بواسطة التقطيع المزدوج خاصة، واقترب بذلك من العلوم الدقيقة، وفتح آفاقا جديدة في ميدان البحث والتطبيق

المحاضرة الثامنة

المدرسة السياقية

عرف المنهج البريطاني المتميّز في هذا الموضوع باسم " مدرسة لندن "بزعامة "جون فيرث" *John Firth*"،[56] حيث أنّ الدرس اللساني الإنجليزي لم يشهد التطور والتغيّر الجذري إلاّ على يده، وهذه المدرسة لا تشمل فقط الدراسات اللغوية التي ازدهرت في لندن، إنما تشمل كذلك الدراسات التي ازدهرت في أماكن أخرى من بريطانيا، وكان السبب الرئيسي الذي حرّك هذه الدراسات هو اتّساع رقعة الإمبراطورية البريطانية، وازدياد الحاجة لدراسة اللغات الشرقية والإفريقية لأغراض متعدّدة، وكان علماء بريطانيا يفضّلون الأشياء العملية التطبيقية على الأشياء النظرية، ويدرسون معطيات لغوية غريبة عنهم، والمتمثلة في اللغات الشرقية والإفريقية، وهذا ما يزيد في نظرهم في الموضوعية العلمية، ويزيل الاستنتاجات المبنية على أفكار مسبقة قد يحملها بعض اللسانيين عن لغاتهم.

ولم تهتم هذه الدراسات اللغوية بالدرس الصوتي فقط بل اهتمت كذلك بالدلالة، وما يميّز الدرس الإنجليزي في مجال الدلالة تنوّع النظريات الدلالية، ومن أهم هذه النظريات:

---

1 ولد "فيرث" بـ " يوركشير " عام 1890 م، درس التاريخ في المرحلة الأولى من دراسته الجامعية قبل أن ينتقل كجندي في أجزاء متعدّدة من الإمبراطورية البريطانية إبان الحرب العالمية الأولى، استقرّ بالهند لمدة طويلة، وتعلّم بعض اللغات الشرقية، وتأثر بالنظريات اللغوية الهندية، كان أستاذا في الأدب الإنجليزي في "جامعة البنجاب" من 1919 م إلى 1928م، ثم عاد إلى بريطانيا ليشغل منصبا في قسم الصوتيات في الكلية الجامعية بلندن، وانتقل إلى قسم اللسانيات في مدرسة الدراسات الشرقية والإفريقية بلندن عام 1938 م، ليدرّس مقياس الدراسات الشرقية والإفريقية، وأصبح عام 1944 م أوّل أستاذ في اللسانيات العامة في بريطانيا، فكان أوّل من جعل اللسانيات الحقيقية دراسة علمية متميّزة ومعترفا بها في بريطانيا، كما قام بالإشراف على تدريب معظم مدرسّي اللسانيات هناك، فجاءت أعمالهم مرآة لأفكاره.

. النظرية الإشارية: والتي طوّرها "أوقدن وريتشارد *Ogden et Ritchard* "

وتعني هذه النظرية أنّ معنى الكلمة هو إشارتها إلى شيء آخر غير نفسها، وهنا تعدّدت الآراء، فرأي يرى بأنّ معناها هو ما تشير إليه، ودراسة المعنى حسب هذا الرأي تقتضي الاكتفاء بدراسة جانبين من المثلث وهما: الرمز والمشار إليه، ورأي آخر يرى أنّ معنى الكلمة هو العلاقة بين التعبير وما يشير إليه، ودراسة المعنى بحسب هذا الرأي تتطلب دراسة الجوانب الثلاثة، لأن الوصول إلى المشار إليه يكون عن طريق الفكرة، ويقول أصحاب هذه النظرية أنّ المشار إليه لا يجب أن يكون شيئا محسوسا قابلا للملاحظة فقط مثل:طاولة، بل قد يكون غير محسوس أي فكرة تجريدية مثل:الشجاعة، القتل...،لكن في كلّ الحالات الكلمة رمز تمثّل أشياء غير نفسها أو تشير إليها، كما يمكن أن يكون المشار إليه غير محدّد مثل كلمة "قلم" لا تشير إلى قلم معيّن لأنها يمكن أن تطلق على أيّ قلم،بمعنى أنه يحوي كلّ أنواع الأقلام.

. النظرية التصورية أو العقلية: وظهرت عند الفيلسوف:"جون لوك Jhon Locke "(ق17)، وتعتبر اللغة وسيلة أو أداة لتوصيل الأفكار، أو تمثيلا خارجيا ومعنويا لحالة داخلية، فما يعطي للتعبير اللغوي المعيّن معنى معيّنا هو استعماله في التفاهم كعلامة لفكرة معيّنة، والأفكار التي تدور في الذهن تملك وجودا مستقلا ووظيفة مستقلة عن اللغة، وإذا اقتنع كلّ واحد منّا بالاحتفاظ بأفكاره لنفسه كان من الممكن الاستغناء عن اللغة، .

النظرية السياقية:

ظهرت النظرية السيافية على يد "فيرث" الذي أراد أن يجعل من الدلالة علما قائما بذاته، فقال بأنّ دراسة الدلالة هي المهمة الرئيسية للسانيات الوصفية،وقامت نظريته في هذا المجال على فكرة السياق[57] التي عالجها علماء اللغة القدامى" عند اليونان مثل "أفلاطون" و"أرسطو"، وعلماء العربية الذين أدركوا أثر السياق في فهم الكلام، وأشاروا إلى ذلك في دراساتهم اللغوية والبلاغية، كما اهتم بها الأصوليون ومفسّرو القرآن الكريم، وهذه النظرية تلتقي في بعض جوانبها مع آراء اللغويين القدماء، ولكنها تختلف عن هذه الآراء من حيث المنهج والمصطلحات.

يعد فيرث أول من درس اللسانيات دراسة علمية متميزة. درس التاريخ في المرحلة الأولى في الجامعة قبل تنقله كجندي في مقاطعات مختلفة من الإمبراطورية إبان الحرب العالمية الأولى[58]. وقد رفض " بناء فكره اللغوي على الثنائيات *Dichotomies* على خلاف "سوسير"، وكان شديد الحرص على وصف اللغة باعتبارها نشاطا معنويا في سياق اجتماعي معيّن، وركّز في دراسة مختلف اللغات على دراسة المكوّن الاجتماعي، وذلك نظرا لتأثّره بالأنثربولوجيا، وعلى تفكير "برونيسلو مالينوفسكي Bronislaw Malinowsky " بشكل خاص، الذي استخلص من أبحاثه التي أجراها على قبائل بدائية، أنّ اللغة تعمل كأداة

---

[57] الدراسات اللسانية البنيوية في أولى مراحلها أهملت السياق بمعناه اللغوي والمقام، واعتبرتهما شيئا خارجا عن مكوناتها، وذلك بسبب هيمنة الأفكار العلمية الصورية التي لم تكن تسمح بإدخال عناصر غير لغوية في وصف اللغة وتحليلها.

[58] – ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية مكتبة الأنجلو المصرية ط 5 1975 ص 31.

تواصل ضمن نشاط إنساني متعارف عليه، فهي ضرب من النشاط وليست أداة تفكير، وما الكلمات إلاّ أدوات ولا يكمن معنى الأداة إلاّ في استعمالها، ولتوضيح فكرة المعنى استعان "مالينوفسكي" بمفهوم "سياق الموقف أو الحال" الذي تساعد الباحث على فهم معاني المفردات والجمل بالنظر في الوظائف التي تؤديها في السياقات الموقفية التي تستعمل فيها، ففي رأيه إذا أتينا بشخص أرويي إلى مجتمع بدائي وزودناه بترجمة حرفية للكلام المتفوّه به فلن يستطيع إدراك معناه، إلاّ إذا كان واردا في السياق الذي جرى في إطاره الحديث.وتأثر "فيرث " بهذه الآراء فكان متحمسا لدراسة اللغة باعتبارها ظاهرة اجتماعية، فقال بأنّ اللغة ينبغي أن تدرس بوصفها جزء من المسار الاجتماعي، أي كشكل من أشكال الحياة الإنسانية، وليس كمجموعة من العلامات الاعتباطية أو الإشارات، وبما أنّ استعمال اللغة هو الوسيلة التي تساعد على فهم المعاني المتعدّدة، فإنّ "فيرث" قام بدراسة مكوّنات اجتماعية بحتة، وذلك بالتركيز على العلاقات التي تربط اللغة بالمجتمع، وعالم اللغة في نظره إذا ما أراد الوصول إلى المعنى الدقيق للكلام يجب أن يبدأ بالكشف عن العلاقات بين الوحدات اللغوية المكوّنة له ومحاولة تقعيدها وفقا لخواصها التركيبية، فالتحليل يعتمد على السياق والمقام، وذلك بملاحظة شخصية المتكلم والسامع وتكوّنها الثقافي وملاحظة العوامل الاجتماعية والمناخية وعلاقتها باللغة وقت الكلام، وأثر الكلام في المشاركين مثل الإقناع، الألم، السرور، الرفض أو الاعتراض...الخ، كما يعتمد على تحليل الكلام إلى وحداته المكوّنة له للكشف عمّا بينها من علاقات داخلية حتى يحلّل الكلام من حيث معناه إلى

مستويات فونولوجية مرفولوجية نحوية ودلالية، وهذا ما يدعى عند "فيرث" بالسياق اللغوي Contexte Linguistique، ثم سياق الحال أو الموقف Contexte Situationel الذي يمثل العالم الخارجي عن اللغة وعلاقته بالكلام مثل الظروف الاجتماعية والنفسية للمتكلمين والمشاركين في الكلام.

ومن هنا فإنّ معنى الكلمة عند "فيرث" هو استعمالها في اللغة أو الوظيفة التي تؤديها، وهذا المعنى لا ينكشف إلاّ من خلال وضع الكلمة في سياقات مختلفة، أي بمجاورتها لكلمات أو وحدات أخرى (المعنى هو الوظيفة في السياق)، يقول أصحاب هذه النظرية: "معظم الوحدات الدلالية تقع مجاورة وحدات أخرى، وإنّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلاّ بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها"، وميّز "فيرث" بين نوعين من العلاقات ترتبط بهما الكلمات، وهما:

. العلاقات الشكلية المتعلقة بالنص أو الداخلية: وهي علاقات تربط وحدة لغوية معينة بالوحدات الأخرى المتتابعة على المستوى النحوي والصوتي (علاقات تركيبية)، وعلاقات تربط بين مجموعة من الكلمات التي نختار منها واحدة (علاقات استبدالية).

. العلاقات الموقفية أو الحالية: وهي علاقات تربط الوحدات اللغوية ومكوّنات الموقف غير اللغوية.

إنّ وحدات اللغة تكتسب معان شكلية ومعان موقفية، فالمعنى الشكلي يدرس على مستوى التتابعات، فكلمة "الطيور" . مثلا . يمكن أن ترد في سياقات مختلفة فنقول: تبني الطيور أعشاشها، تغرّد الطيور...الخ، ووروودها في هذه السياقات يبيّن بوضوح معناها اللغوي، والمعنى على المستوى النحوي هو القيمة التي تكتسبها كلّ وحدة نحوية من خلال علاقاتها بالوحدات الأخرى، والمعنى في هذا المستوى يختلف، فمثلا اللغة العربية تستخدم مصطلح جمع للدلالة على أكثر من اثنين، وما زاد على الواحد هو مثنى، في حين أنه جمع في معظم اللغات، والشيء نفسه على المستوى الفونولوجي، فالصائت *i* . مثلا . في النظام الثلاثي i a u يختلف عن معناه في النظام الصائتي الرباعي a o i e وفي النظام الصائتي الخماسي *i e a o u* ، ويتمثل المعنى الموقفي أو الحالي في العلاقات بين وحدات اللغة والعناصر الخارجة عن اللغة، فمثلا كلمة "سلوك "في اللغة الإنجليزية تستعمل في مواقف سياقية اجتماعية مختلفة وتكتسب معنى موقفيا على مستوى الإملاء والكتابة، فإذا كتبت بـ:" Or "(Behavior) دلّت على أنّ الشخص الذي استعملها أمريكي، وإذا كتبت بـ:" Our " (Behaviour) دلّت على أنّ مستعملها إنجليزي.

تدلّ الكلمات . إذن . على أشياء ومواقف، ويتضمن معنى الكلمة المنطوقة ثلاثة أشياء: مواقف تجاه المرجع، مواقف تجاه المخاطب، والغرض من وراء الكلام، والنمط اللغوي حسب "فيرث" يستخلص من المعطيات السلوكية الكلامية في سياق ما، وأطلق على السلوك

الكلامي اسم المعطيات الصوتية، وكلّ سياق عبارة عن وظيفة أو عضو في سياق أكبر، وهذه السياقات ثانوية (سياقات الموقف) تجد مكانا لها في سياق واسع وهو الثقافة.

ومن مميزات المنهج السياقي أنه لا يفحص الحالات العقلية الداخلية، إنما يعالج الكلمات باعتبارها أفعالا أو أحداثا تقبل الموضوعية و الملاحظة في حياة الجماعة، وهو لم يخرج في تحليله عن دائرة اللغة، ومع ذلك فقد وجّهت له بعض الانتقادات والتي تتمثل في:أنّ "فيرث" لم يقدّم نظرية شاملة للتركيب اللغوي، واكتفى بتقديم نظرية للمعنى، مع أنّ المعنى يجب أن يعتبر مركبا من العلاقات السياقية ومن الأصوات والنحو والمعجم، ولم يكن محدّدا في استعماله لمصطلح "السياق" مع أهميته، وحديثه عن الموقف كان غامضا، وبالغ كثيرا في إعطاء ثقل زائد لفكرة السياق، كما أنّ منهجه هذا لا يفيد من تصادفه كلمة ما عجز السياق عن إيضاح معناها، لذلك فإنّ قولنا له بأنّ كلمة معينة ترد في السياقات الآتية لا يفيده، لكن هذا يفيد الباحث الذي يريد تتبع استعمالات الكلمة في التعبيرات المختلفة.

واهتم "فيرث" بالفونولوجيا أو الصوتيات الوظيفية، وهي عنده تنظيم لمادة الفونتيك، أو هي الفونتيك الذي أصبح وظيفيا وعمليا، فأصحاب المدرسة الإنجليزية فرّقوا بين الفونتيك والفونولوجيا لكن من الناحية النظرية فقط، لأنهم حرصوا على إبراز قوة الاتصال بينهما، وأطلقوا عليهما تسمية " Phonetics "، فالفونتيك يجمع المادة الصوتية، والفونولوجيا يخضعها للتنظير والتقعيد، ومن ثمّ لا يمكن الفصل بينهما من الناحية التطبيقية، والفونولوجيا عند "فيرث" متعدّدة النظم Polysystematique، وعارض فكرة إقامة نظام واحد من

الفونيمات لوصف اللغات، ورأى بأنّ النظام الصوتي لأية لغة يتألف من عدد من النظم (أنظمة متعدّدة) التي تحتوي على احتمالات بديلة تؤدي عملها في نقاط مختلفة من الوحدات الصوتية كمقاطع الكلمات Syllabes وليس هناك سبب لمطابقة أو معادلة البدائل الصوتية في نظام ما مع بدائل أخرى في نظام آخر، فثمة نظام لنهاية المقطع وهو مختلف عن نظام بداية المقطع، وهذا يختلف عن فكرة "تروبتسكوي" الذي يرى أنّ التقابلات المحيّدة يحققها فونيم أساسي، والذي أطلق عليه اسم:" الفونيم الأم أو الكلّي Archiphoneme " ففي الألمانية . مثلا . هناك تضاد بين t و d ، وهذا التضاد يصير محايدا إذا وقع هذان الفونيمان في أواخر الكلمات، حيث أنّ الفونيم t هو الذي ينطق به، فهو الفونيم الأم أو الكلّي.

وعارض "قيرث" . كذلك . فكرة إرجاع كلّ السمات الصوتية المميّزة للغة إلى مواقع قطعية منفردة، وأتى بنظرية التحليل الفوقطعي التي تهتم بتحليل الكلام إلى فونيمات قطعية Phoneme segmental، وهي أصغر وحدة صوتية (صوامت + صوائت)، وفونيمات فوقطعية Phoneme suprasegmental وتصاحب أحيانا الفونيم القطعي، وتتمثل في النبر والتنغيم والفواصل، وسمّاها "قيرث" بالفونيمات الثانوية أو البروسوديم Prosodeme وتقترن بالمقاطع والجمل وشبه الجمل، فالتنغيم . مثلا . سمة فوقطعية في الإنجليزية على مستوى الجملة وشبه الجملة، والنبر وطول الصوت سمة فوقطعية على مستوى المقطع، وهناك لغات نغمية حيث يختلف معنى الكلمة الواحدة باختلاف درجة النغم مثل الصينية.

ويصرّ "فيرث" على أنّ الصوت والمعنى في اللغة متصلان مع بعضهما مباشرة، ويرفض رؤية التعبير والمضمون كوجهين مختلفين لعملة واحدة كما هو الحال عند "سوسير".

وعرف التحليل التركيبي في هذه المدرسة باسم القواعد النظامية أو النحو النظامي Grammaire Systematique، الذي اهتم به الفيرثيون الجدد Neo-firthians، وهم جماعة من اللسانيين سعوا إلى تحقيق ما رفض "فيرث" القيام به، وهو إقامة نظرية لسانية واحدة متكاملة، ومن الذين نادوا بتطبيق المبادئ الفيرثية على مجال التركيب :"هاليداي Halliday " و" هادسون Hudson "، والنظام Systeme عند "فيرث" هو مجموعة اختيارات أو بدائل يمكن استعمالها في نقطة معينة من البنية اللغوية، والنحو عند أصحاب مدرسة لندن مثل الصوتيات الوظيفية عند "فيرث"، وهو يهتم بطبيعة ومضمون الاختيارات المختلفة التي يجريها الإنسان (سواء أكانت واعية أو غير واعية) عند نطقه بجملة معيّنة من الجمل غير المتناهية التي تتوفر عليها لغته، وهذه الاختيارات حسب هذه النظرية مبنية على تعالقات دلالية محدّدة، وهذا يعني أنه لا يمكن لنظام معيّن من البدائل أن يمارس نشاطه إلاّ إذا تمّ انتقاء اختيار معيّن في نظام محدّد آخر، وتقوم القواعد النظامية على ثلاثة مستويات، وهي: الشكل، ويجمع بين القواعد والمفردات، المادة، وتشمل الأصوات ونظام الكتابة، والسياق، ويعكس العلاقة الموجودة بين الشكل والموقف.

هذه . إذن . هي أهم الجوانب التي ميّزت المدرسة الإنجليزية وعلى رأسها "فيرث" الذي لعب دورا هاما في تطوير اللسانيات النظرية بصفة عامة واللسانيات الإنجليزية بصفة خاصة،

واستقطبت المجالات التي تناولها بالدراسة اهتمام العديد من الأخصائيين، ومن هذه المجالات: نظرية الدلالة، منهج تحليل اللغة، المكوّن الاجتماعي، والتحليل الفونولوجي، كما ساهم في تطوير فنيات الترجمة وأساليب تدريس اللغات سواء أكانت وطنية أو أجنبية، وجاء بعد "فيرث" الفيرثيون الجدد الذين أقاموا نظرية القواعد النظامية، وهذه النظرية مازالت تحظى بقبول حسن في أوساط المنشغلين بتقدم الدراسات اللغوية

المحاضرة التاسعة

المدرسة التوزيعية

تطورت اللسانيات البنيوية بطريقة مستقلة في أوربا وأمريكا، لكن اللسانيات الأمريكية اختلفت عن اللسانيات الأوربية، وذلك من حيث المنهج المتّبع في الدراسة والمادة المدروسة، فاللسانيات الأوربية انطلقت من الفكر اللغوي القديم الذي ظهر مع اليونانيين واستمر حتى القرن *19*، أما الأمريكية فقد انطلقت من الأنثربولوجيا، حيث اهتمت بتدوين وتصنيف اللغات الهندية الأمريكية المنتشرة في الولايات المتحدة، وذلك مخافة أن تنقرض هذه اللغات التي تستعملها جماعة من الناس، وكانت هذه الدراسات تتبني على اللغة المنطوقة، وتعتمد على الأشكال اللغوية مستبعدة المنطق والمعنى في تفسير الظواهر اللغوية، ومركّزة على دراسة كلّ لغة كما هي مستعملة في مكان وزمان معيّنين، واللسانيات الأمريكية لسانيات بنيوية لأنها تهتم ببنية اللغة ودراستها دراسة وصفية، لذلك عرف علماؤها بالوصفيين.

ولقد هيّأ ثلاثة علماء أمريكيين المسار للسانيات الأمريكية وهم: " فرانز بواز *Franz Boas*، إدوارد سابير Edward Sapir، وليونارد بلومفيلد Leonard Bloomfield ".

كان " بواز "[59] أوّل من وضع أسس اللسانيات الوصفية في أمريكا، واجتذبته العلوم الإنسانية عندما عرف الأنثربولوجيا، وأدرك أنها ليست فرعا من الجغرافيا، كما أدرك أنّ العلوم الإنسانية تختلف عن العلوم الفيزيائية من حيث المنهج والمضمون، ورأى أنّ اللغة أهم مظهر من مظاهر الثقافة، لذلك وجب على الأنثربولوجي فهمها ووصفها بدقة وبيان نظامها الذي يشكّل وحدة متماسكة، والمجتمع . في رأيه . يفهم من خلال ثقافته، وليس من خلال بيئته، وثقافته لا تفهم إلاّ من خلال لغته، وتخصّص " بواز " في أنثربولوجيا أمريكا الشمالية، حيث وصف اللغات المحلّية وصنّفها، ولقد اعتمد في ذلك على اللغة المنطوقة، فكان المسؤول الأول عن برنامج دراسة اللغات الهندية المنتشرة في شمال المكسيك، وتميّزت مدرسته بالنسبية اللغوية، وتعني أنّ اللغات الإنسانية تختلف فيما بينها، ومن ثمّ ليس هناك لغة مثالية يقاس عليها.

[59] ولد عام *1858* م في وستفاليا *Westphalia* بدأ حياته العلمية بدراسة الفيزياء والجغرافيا، ثم انتقل إلى دراسة علم الإنسان، وتخصّص في علم الإنسان الخاص بأمريكا الشمالية، درّس في برلين قبل أن يستقر في الولايات المتحدة، وفي عام *1911* م نشر كتابه:" دليل اللغات الهندية الأمريكية" الذي تعتبر مقدمته خلاصة للمنهج الوصفي في دراسة اللغة، كما كتب عددا من الفصول عن لغات بعينها، ودرّب دارسي اللغات الأخرى، ولقد تأثر به مشاهير اللسانيين الأمريكيين، وتوفي عام *1942* م.

وتتلمذ على يد "بواز "عدد من اللغويين الأمريكيين ومنهم " سابير"[60]، حيث أنه عندما التقى به عام 1904 م تأثّر به، واجتذبه منهجه اللساني الأنثربولوجي، فدرس اللغات الهندية الأمريكية المنتشرة على طول ساحل المحيط الهادي، بعدما كان يدرس اللغات الجرمانية، وكان شغوفا أيضا بالفن والموسيقى، فلم يفصل الدراسة اللغوية عن دراسة مظاهر السلوك البشري وعلم النفس وعلم الاجتماع، لذلك ركّز على الجانب الإنساني للغة وبعدها الثقافي (علاقة اللغة بالمجتمع)، ولقد أصدر كتابا واحدا وهو " اللغة" عام 1921 م، وكان يؤكّد فيه على دراسة الأشكال اللغوية دراسة تحليلية تصنيفية دون تصورات مسبقة، ودون إقحام أنماط من لغات أخرى، ورأى أنّ لكلّ لغة أقسامها الخاصة بها وأنماطها المتميّزة، ومن ثمّ رفض التقسيم التقليدي لأقسام الكلام، ورأى بأنها ليست كلّيات لغوية.

وهناك فكرة ارتبطت بـ " سابير " و" بينجامين لي وورف Benjamin Lee Whorf "[61]، والتي عرفت بفرضية "سابير ووورف "، ومفادها أنّ العالم الذي يعيش فيه الإنسان بناء لغوي أو قفص لغوي، ووظيفة اللغة لا تقتصر على التواصل، إنما تتجاوز ذلك إلى تمثيل

---

[60] ولد بألمانيا عام م *1884*، ثم هاجر إلى أمريكا، حيث درس هناك متنقلا بين جامعات نيويورك وكولمبيا وكاليفورنيا وبنسلفانيا، حصل على الدكتوراه عام *1909* م، وكان له اهتمام كبير باللغات الأمريكية الهندية، بدأ حياته العلمية مسؤولا عن بحث في علم الإنسان في المتحف الوطني الكندي، وانتقل إلى جامعة شيكاغو عام *1925*م ثم جامعة بيل عام *1931* م، نشرت أبحاثه عام *1949* م، وتحمل عنوان:" كتابات مختارة في اللغة والثقافة والشخصية"، وله كتاب "اللغة"، توفي *عام1939* م.

[61] وهو انجليزي الأصل هاجرت عائلته إلى ماسا تشوستس في القرن *17*، حصل على شهادة في الهندسة الكيميائية، وبدأ حياته العملية كمفتش للوقاية من الحرائق، ورغم العروض التي تلقاها كي يشغل منصبا أكاديميا استمر في عمله هذا إلى أن مات عن عمر يناهز الرابعة والأربعين. وعندما انتقل " سابير " إلى جامعة بيل كان وورف من معاونيه، واهتم بصفة أساسية باللغة الهوبية.

العالم، إذ أنها تؤثر على تفكير الإنسان وإدراكه للواقع ورؤيته للأشياء، فيقول " سابير ": "إنّ الناس يعيشون تحت رحمة اللغة التي أصبحت وسيلة للتعبير في مجتمعهم ... وإنّ العالم الحقيقي مبني إلى حدّ كبير. وبدون وعي . على العادات اللغوية للمجتمع"، وهذا يعني أنّ الشكل اللغوي (اللغة) نظام رمزي لا شعوري فرض على الإنسان، وهو الذي يمارس الاستبداد على توجهاته في العالم،فهذا الإنسان واقع تحت رحمة اللغة التي أصبحت وسطا للتعبير في المجتمع الذي يعيش فيه، فلا يمكن أن يتلاءم مع الواقع دون أن يستند إلى اللغة التي هي ليست فقط وسيلة للتواصل، لأنّ العالم الواقعي مبني لاشعوريا على العادات اللغوية للجماعة.

ورأى " وورف " بأنّه لو كان رجال الهوبي Hopi (وهي إحدى لغات ولاية أريزونا) هم الذين طوّروا النظريات العلمية لكانت الفيزياء الحديثة مغايرة تماما لما هي عليه الآن ومنسجمة مع نفسها ومقنعة أيضا، ورأى أنّ فيزياء " نيوتن " قد حصل عليها جاهزة من لغته، ولو كان " أرسطو " كذلك من الهوبي لتطوّر المنطق الحديث والفيزياء الحديثة تطوّرا مختلفا، وهذا يعني أنّ الأشكال اللغوية قد أثّرت في تطوّر المنطق والفيزياء وفي علوم أخرى، وأنّ اللغة تفرض على مستعمليها طريقة خاصة في التفكير.

إنّ هذه الفرضية حسب " ليونز Lyons " تجمع بين الحتمية اللغوية (أي أنّ اللغة تحدّد الفكر) والنسبية اللغوية (أي هناك اختلاف كبير في بنية اللغات)، وهي تعلّم عدم احترام الأفكار المسبقة، إذ لا يمكن للباحث أن يدرس لغة غريبة عنه دراسة علمية، إذا كان

يعتقد بأنّ بنيتها تشبه بنية لغة أخرى يعرفها من قبل، وتعلّم كذلك عدم تصديق كلّ ما يقال ويقدّم على أساس أنه علمي، ووجوب النظر إلى الأشياء بعين النقد، لكنه لا ينبغي أن نتجاهل مقدرة الفرد على الخلق والإبداع، وتحطيم القيود اللغوية التي تفرض عليه.

ورغم مكانة " بواز وسابير " إلاّ أنّ اللساني الذي يعدّ الممثل الرئيسي للمدرسة الوصفية هو "بلومفيلد " [62] زعيم المدرسة التوزيعية.

[62] ولد بشيكاغو عام *1887* م التحق بجامعة هارفرد عام *1903* م، وحصل على الماجيستير عام *1906* م، ودرّس اللغة الألمانية في العام ذاته بجامعة فيسكونسين *Wisconsin*، ثم انتقل إلى جامعة شيكاغو أين تحصل على الدكتوراه عام *1909* م، هاجر إلى أروبا وتابع في ليبزغ *Leipzig* وغوتينغن *Gottingen* محاضرات لسكين *Leskien* وبروغمن *Brugmann* (النحاة الجدد)، درّس الفيلولوجيا الجرمانية في جامعات عديدة في الولايات المتحدة واللغات الهندية الأمريكية، المنتشرة في جزر الفيليبين، وبمرور الوقت اهتم باللسانيات الوصفية ورأى بأنّ الدراسة اللغوية التقليدية دراسة غير علمية لأنها معيارية، وأكّد على دراسة اللغة دراسة وصفية واستقرائية، أصدر كتاب " مدخل إلى دراسة اللغة" عام *1914*م، وقام بمراجعته تحت عنوان "اللغة" عام *1933* م،بعدما تشبّع بمبادئ السلوكية، ونظرا لأهمية هذا الكتاب فقد أطلق عليه اسم " إنجيل اللسانيات الأمريكية" ، وخلف " بلومفيلد " " سابير" في تعليم اللسانيات العامة بجامعة "بيل"، لكن في عام *1946* م أصيب بشلل منعه من القيام بأيّ نشاط، وبقي على هذه الحال حتى مات عام *1949* م.

المدرسة التوزيعية

لقد ظهرت هذه المدرسة في بدايات الثلاثينيات مِن القرن العشرين، وتميّزت بعلاقتها بعلم النّفس السّلوكي أو النّظريّة السلوكيّة التي تُعدُّ وليدةَ المدرسة السلوكيّة التي مِن أشهر مؤسِّسيها الأمريكيّ واطسون John Broadus Watson ، الذي كانت له اهتمامات رئيسيّة بعلم النفس التجريبيّ والمقارِن، وكان ذلك في مطلع القرن العشرين وبالتّحديد (1912) بالولايات المتّحدة الأمريكيّة، واستند هاريس Zellig Harris أحد زعماء هذه المدرسة إلى بلومفيلد في أعماله اللّسانية التي شرع فيها منذ 1930، وهو تاريخ قريب من تاريخ نشر بلومفيلد كتابه (Language) 1933، فصار إثرَ تلاقي أفكارهما أحد المنظِّرين البارزين للمدرسة الأمريكيّة المعروفة تحت تسمية التوزيعيّة (Disributionalisme).

لقد تشبّع " بلومفيلد " بمبادئ السلوكية " Behaviorisme " [63]، فذهب إلى أنّ اللسانيات فرع من علم النفس السلوكي، لذلك حاول تفسير الحدث الكلامي من منظور سلوكي بحت، ولقد نادى بدراسة اللغة دراسة علمية ومستقلة، وأطلق على منهجه في دراستها اسم " المنهج المادي أو الآلي "، وهذا المنهج يفسّر السلوك البشري في حدود المثير والاستجابة Stimulus/Reponse، وذلك مثل اعتماد الفيزياء والكيمياء في تفسير الظواهر على تتابعات العلة والأثر، ورفض في تفسيره للظواهر الاعتماد على المنهج الذهني أو العقلي، الذي كان شائعا في عصره أنه لا يعتمد على المبادئ العلمية التجريبية، إنما

[63] – أحمد عزوز، المدارس اللسانية أعلامها مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي ص 112.

يفسّر السلوك البشري ويرجعه إلى عوامل غير فيزيائية، مثل الروح والعقل والإرادة التي لا تقبل الملاحظة المباشرة والوصف ، وهذا يعود إلى تأثره بـ "واطسون " وأتباعه من علماء النفس، الذين يرفضون التسليم بوجود العقل، أو أيّ شيء لا يمكن ملاحظته لتفسير النشاطات والقدرات الخاصة بالكائنات البشرية، والتي وصفها علماء النفس التقليديون بأنها ذهنية، وهذا يعني أنّ سلوك أيّ كائن حيّ يجب أن يفسّر في حدود استجابة لمثيرات نابعة من البيئة، ولقد بالغ "بلومفيلد " في تركيزه على الجانب الآلي وتشبيه السلوك الإنساني بسلوك القطط والقردة والكلاب، التي تجرى عليها التجارب في المخابر، لأنّ الإنسان يتميّز عنها بالعقل، الذي هو ملكة مبدعة، لذلك انتقده العقلانيون.

إنّ موقف " بلومفيلد " الخاص بالعلمية اتخذه في وقت ظهرت فيه الفلسفة الوضعية التي تسلّم بما هو مرئي وتجريبي، وترفض كلّ ما هو تفكير تجريدي، فكان متحمّسا لها فطبّقها في دراسة السلوك البشري بما في ذلك اللغة، لأنها سلوك فيزيولوجي، سببه مثير معيّن، ولتوضيح ذلك قدّم " بلومفيلد " مثالا لـ " جاك وجيل Jack et Jill " ، حيث افترض أنّ "جاك " و" جيل " كانا يتنزهان فشعرت " جيل " بالجوع، ثم رأت تفاحة في شجرة فأصدرت صوتا، فتسلق " جاك " الشجرة وقطف التفاحة، وأعطاها لـ " جيل " فأكلتها، وحلّل " بلومفيلد " هذه القصة كالتالي[64]:

[64] – ينظر: حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، ص 122–123.

1- أحداث عملية سابقة لعملية الكلام

2- العملية الكلامية

3- أحداث عملية لاحقة لعملية الكلام

S---------►r.....s ---------► R

إن المثير (S) يعادل الأحداث العملية السابقة للحدث الكلامي، وإن الاستجابة (R) تعادل الأحداث العملية التابعة للحدث الكلامي، ويدل الحرف (r) على الاستجابة البديلة، والحرف (s) على المثير البديل.

وفي رأي بلومفيلد، شعور جيل بالجوع يعني أن بعض عضلاتها كانت تتقلص وأن بعض السوائل كانت تفرز على مستوى المعدة، وأن رؤيتها لتفاحة يعني أن موجات ضوئية انعكست من التفاحة على عينيها، فالشعور بالجوع ورؤية التفاحة يمثلان المثير (S) أما الاستجابة المباشرة للمثير فهي أن تتسلق جيل الشجرة، وتأتي بالتفاحة لنفسها (R)، ولكنها بدلا من ذلك تقوم باستجابة بديلة (r) على شكل سلسلة معينة من الأصوات بأعضائها الصوتية، وهذه الأصوات تقوم بدور المثير البديل (s) بالنسبة لـ (جاك) جاعلة إياه يتصرف كما لو كان هو نفسه جائعا ثم رأى التفاحة[65].

[65]- أحمد مومن، اللسانيات: النشأة والتطور، ص 195-196.

إنّ الأصوات التي أصدرتها " جيل " كلام تافه وغير هام في حدّ ذاته، لكنه يحمل معنى، وفي الحقيقة "بلومفيلد" لم يستدل بالمنهج السلوكي إلاّ في حديثه عن المعنى، حيث يرى أنّ تحليل المعنى هو أضعف نقطة في دراسة اللغة، وموقفه الصارم من مبدأ العلمية هو الذي حال دون دراسته له، حيث ألحّ على عدم إقحام المعنى والمعايير غير اللغوية في دراسة اللغة،لكنه لم يقصي المعنى من الدراسة اللغوية بشكل مطلق،حيث أشار إلى إمكانية وصفه في حالة وجود تعابير متشابهة من حيث المعنى في كل جماعة لغوية،وفي حالة وجود ما سمّاه بالصفات المشتركة لجميع المواقف،التي تحتّم استخدام تركيب لغوي ما.

وقسّم " بلومفيلد " اللغة إلى مستويات وهي:

* المستوى الفونيمي: الذي يحتوي على وحدات صوتية، والذي اعتنى به عناية كبيرة.

* المستوى المورفيمي: الذي يتضمن وحدات معجمية مثل السابقة واللاحقة والجذر... الخ

* المستوى التركيبي: الذي يحتوي على تراكيب أوسع من الكلمة كالجملة، والذي لم يهتم به إلاّ قليلا.

* المستوى الدلالي: الذي لم يهتم به لأنه يركّز على التحليل الشكلي، ولأنّ المعاني في رأيه ورأي الوصفين غير قابلة للمشاهدة، وبالتالي لا يمكن دراستها دراسة علمية.

وركّز " بلومفيلد " على التحليل الشكلي عن طريق عمليات ومفاهيم وصفية بشكل موضوعي، وكانت الوحدتان الأساسيتان للوصف هما: الفونيم Phoneme وهو الوحدة

الصـوتية الصـغرى، الـذي يتميّـز عـن الفـون Phone والألوفـون Allophpone (أمثلـة الأصـوات)، والمـورفيم Morpheme وهـو أصـغر وحـدة صـرفية ذات معنـى فـي النظـام التعبيري، وهو قسمان[66]:

* المورفيم الحرّ: وهو وحدة صرفية يمكن أن تستخدم وحدها باعتبارها وحدة مستقلة في اللغة كلمة ذات معنى محدّد، ويطلق عليه اسم كلمة، ويتلفظ به بصورة حرّة، مثال: كتاب في قولنا: كتاب/ ان مورفيم حرّ، الضمائر المنفصلة، حروف الجر، الأفعال الناقصة وأفعال الشروع.

* المورفيم المقيّد: وهو وحدة صرفية لا يمكن استخدامها لوحدها باعتبارها كلمة ذات معنى محدّد، حيث لا يمكن فصلها عن جذر الكلمة، وتتمثل في:

*السوابق: وتسبق المورفيم الحرّ، مثل: حروف المضارعة وهمزة التعدية.

*اللواحق: وتلحق آخر المورفيم الحرّ، مثل: ياء النسبة، تاء التأنيث، علامة الجمع والتثنية.

*الدواخل أو الأحشاء: وتتمثل فيما يتوسط المورفيم الحرّ، مثل: تضعيف عين الفعل، ألف فاعل، وألف جمع التكسير.

[66] – التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ط 2، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 18.

ويطلق على الأشكال المختلفة للمورفيم اسم:" المورف Morph " أو " الألومورف Allomorphe "، مثل: المورفيم (S) الذي يدلّ على الجمع في الإنجليزية يظهر في أشكال صوتية مختلفة تبعا لما يسبقه من أصوات، فهو (S) بعد *t* و *g* *مثل:* Cats و Dogs ، وهو Z بعد e و s *مثل:* Roses.

واعتبر " بلومفيلد " عنصر المعنى في دراسته للنحو عنصرا نفسيا يدركه علماء النفس، فاستبعده من التحليل . كما ذكر سابقا . ، وركّز على توزيع Distribution الوحدات اللغوية (العلاقات التوزيعية للفونيمات في تسلسلات فونيمية، وللمورفيمات في مجموعة المورفيمات)، وتتمّ عملية التوزيع عن طريق الاستبدال، أي استبدال وحدة لغوية بأخرى لتعيين الموقع الذي تنتسب إليه من أقسام الكلام، وينتج عن هذا التحليل التوزيعي جمل ذات المعاني الغامضة واللامعقولة، وتستوي الجمل الصحيحة مع الجمل التي لا تحمل معنى، مثل: اشتريت كتابا، يمكن أن نستبدل " كتابا " بـ " شجاعة "، فنقول :اشتريت شجاعة،فكتابا وشجاعة تنتسبان إلى الاسم من جهة أنهما تستويان في إمكانية وقوعهما موقعا واحدا، لكن الجملة الأولى معقولة في حين أنّ الثانية ليست معقولة، وهذه نتيجة منطقية لاستبعاد المعنى عند أتباع مدرسة " بلومفيلد " واهتمامهم بالنماذج الصورية أي الصياغة الشكلية المجرّدة عن أيّ سياق أو تأويل.

ووصف " بلومفيلد " تركيب الجملة عن طريق تحليل المكونات المباشرة Constituants Immédiats، الذي تتصل فيه المورفيمات بعضها ببعض، حيث يتم

تقسيم الجملة إلى مكوناتها المباشرة، التي يمكن تحليلها إلى مكونات أصغر، حيث يستمر التقطيع حتى يصل إلى أصغر الوحدات وهي المورفيمات، وهي مكونات نهائية،حيث لا يمكن تحليلها إلى مكونات أصغر منها مما يحمل دلالة في الجملة.

*مثال: اشترى الطالب كتابا في القواعد، تحلّل إلى:

اشترى الطالب / كتابا في القواعد.

اشترى / الطالب / كتابا / في القواعد.

اشترى / الطالب / كتابا / في / القواعد.

اشترى / ال / طالب / كتابا / في / ال / قواعد.

كما استعمل الوصفيون لتوضيح عملية التقطيع الأقواس، ولقد استعارها " بلومفيلد " من الجبر:

(((اشترى ((ال)) ((طالب))) (((كتابا ((في)) ((ال)) ((قواعد))).

وهناك كذلك طريقة للتحليل وهو ما يعرف بالتحليل الشجري أو التركيب المشجر[67] التي تمثل العلاقة بين المكونات وهي:

[67] – التواتي بن التواتي، المرجع السابق، ص 73.

اشترى كتابا في ال طالب القواعد

ومن هنا فإنّ الجملة عند " بلومفيلد " عبارة عن طبقات يتركب بعضها فوق بعض، ومهمة التحليل اللغوي أن يبيّن هذه الطبقات من حيث توزيعها، فينتقل من طبقة إلى طبقة، ومعنى هذا أنّ الجملة لم تعد ذلك البناء الطولي، الذي يتركب من عناصر لغوية بوضع بعضها بجوار بعض، إنما طبقات تركب بعضها فوق بعض.

إنّ التحليل التوزيعي تحليل بنيوي يتقابل مع التحليل الوظيفي،وذلك في أنّ التحليل الوظيفي يقوم في وصفه للوحدات،ودراسته لعلاقاتها على مفهوم الوظيفة الذي يرتكز على مبدأ الدراسة الصورية،التي تنطلق من أنّ العملية اللغوية عملية ذهنية ونفسية،ومبدأ التحليل التفسيري المعتمد على معيار المعنى،أما التحليل التوزيعي فلا يهمه المنظور الصوري للغة (جانبه النفسي والذهني)،بل يهمه ما تسفر عنه الملاحظة العلمية للظواهر اللغوية من قواعد وقوانين، تكشف عن المواقع التوزيعية المختلفة،التي تتخذها الوحدات بانتظام في بنى اللغة بعيدا عن المعنى.

ولقد رأى البعض أنّ منهج التحليل إلى المكونات المباشرة يشكو العجز والقصور،لما يتسم به من الشكلية المباشرة والتسطح،وعدم القدرة على إعانة المحلّل اللساني على الفهم والتفسير بصورة متكاملة،وعدم امكانية تحليل الجمل الاستفهامية والتعجبية وحالات البناء للمعلوم والمجهول،وكذلك التراكيب التي تحتمل دلالات متعدّدة،وانتقد "تشومسكي Chomsky" "بلومفيلد" وسائر البنيويين في اقتصارهم على الوصف والتصنيف،مما جعل

دراستهم عاجزة عن تفسير الظواهر بالرجوع إلى بناها العميقة الماثلة في الملكة اللغوية عند المتكلم،وكذلك في النظر إلى اللغة بوصفها حالة سكونية وعملية آلية،تقصي من التحليل الدور الإيجابي للمتكلم،في حين اعتبرها "تشومسكي" طاقة حيوية متحركة،يتم تفسيرها بمتابعة مستوياتها عند المتكلمين (مستوى الاستعداد الفطري عند الإنسان ومستويات اكتساب القدرات اللغوية عند المتكلمين خاصة الأطفال).

وتطوّرت المناهج العلمية الخاصة بدراسة اللغة على يد لسانيين من أمثال : "هوكيت Hockett ، جليسون Gleason ، هيل Hill ، جوس Joos ، و هاريس Harris " [68] الذي أصدر كتابا بعنوان "مناهج اللسانيات البنيوية " عام *1951* م، والذي حاول فيه وضع جملة من المناهج البنيوية لوصف اللغة في إطار منطق العلاقات التوزيعية،ونظريته امتداد لبعض المفاهيم والمبادئ التي جاءت بها لسانيات "بلومفيلد"،مثل مبدأ التحليل إلى المكونات المباشرة،مبدأ الدراسة العلمية القائمة على التصنيف والوصف،ومبدأ إقصاء المعنى من التحليل،ومن أهم ما تميّزت به هذه النظرية،أنّ مفهوم التوزيع عنده هو توزيع للفونيمات في المباني الصرفية،مثل: قال،سال،جال...،لإبراز القيمة الخلافية فيما بينها على أساس مواقعها التوزيعية المنتظمة،وتقابلها التصنيفي لا الوظيفي(كما هو عليه مبدأ الدراسة الوصفية عند الأروبيين)،كما يتمثل في توزيع الوحدات الدالة في الجمل،كما أنه تحدّث عن مبدأ

[68] ولد عام *1909* م في روسيا، ثم قدم في الخامسة من عمره إلى الولايات المتحدة، التحق بجامعة بنسلفانيا أين حصل على الدرجة الجامعية الأولى عام *1930* م، وحصل بعد سنتين على الماجيستيرفي الأدب، وعلى الدكتوراه عام *1934* م بالأطروحة التي تقدم بها عن قواعد اللغة الفينيقية، ثم عيّن للتدريس في الجامعة نفسها، إلى أن انتقل إلى جامعة فيلادلفيا، ثم عاد إلى بنسلفانيا، واشتغل بالتدريس هناك، أين التقى تلميذه "تشومسكي".

الربط البنيوي بين العناصر اللغوية، بدء بالفونيم ثم المورفيم ثم الجملة ثم النص،ويعتبر بذلك رائدا مؤسسا لفكرة التحليل اللساني،الذي تجاوز حدود الجملة إلى الخطاب،مخالفا بذلك البنيويين الذين حصروا لسانياتهم في حدود الجملة، ومن هؤلاء "بلومفيلد"،وقدّم "هاريس" هذا التحليل خلال دراستين نشرهما تحت عنوان "تحليل الخطاب"،ولقد أدرك نقائص التحليل التوزيعي، فلجأ إلى فكرة التحويل، حيث اكتشف مفهوم الجملة النواة والتركيب المحوّل، وهذان المفهومان تبنّاهما "تشومسكي " الذي أحدث ثورة في حقل اللسانيات بظهور كتابه :" البنى التركيبية "عام 1957 م، فكان مؤسسا لأحدث النظريات اللسانية وهي النظرية التوليدية التحويلية.

المحاضرة العاشرة

المدرسة التوليدية التحويلية 1.

نشأت هذه المدرسة بفضل " أفرام نوام تشومسكي *Avram Noam chomsky*" [69] الذي انتقد "بلومفيلد *Bloomfield*"، فأسس نظريته على أنقاض المدرسة التوزيعية، وذلك عندما نشر أول كتاب له وهو " البنى التركيبية *Structures syntaxiques* " عام 1957 م، وهو لم ينتقد " بلومفيلد " فحسب بل كلّ المناهج البنيوية التي شاع استعمالها في أروبا وأمريكا، حيث اعتبر هذه المناهج وصفية تصنيفية وسكونية (تصف التراكيب اللغوية وتحللها بطريقة شكلية متجاهلة المعنى)، ولم تهتم بالتفسير والتعليل، حيث أنها لم تفسّر كيفية إدراك الكلام وإحداثه، فهي من هذه الحيثية فاشلة، خاصة عند تحليلها للمستوى التركيبي، حيث اهتمت بالجزئيات وأهملت العلاقات بين هذه الجزئيات، وعلى العكس من ذلك فإنّ المدرسة التوليدية التحويلية لم تقف عند وصف اللغة بل تجاوزته إلى تحليلها وتفسيرها واستنباط

[69] لساني أمريكي من عائلة روسية إسرائيلية، ولد عام 1928م بفيلادلفيا بالولايات المتحدة الأمريكية، كان أبوه عالما باللغة العبرية، وقد أفاد "تشومسكي " من ذلك في نشأته اللغوية، وتلقى على يديه بعض مبادئ علم اللغة التاريخي، وشارك أباه في تصحيح تجارب الطباعة لأحدى مؤلفاته عن النحو العبري وهو في سن العاشرة، وفي سن الثامنة عشر اتصل بأساذه " هاريس" الذي كان يدرّس في جامعة بنسلفانيا، واقترح عليه الاشتغال بنحو اللغة العبرية، ودرس بهذه الجامعة الفلسفة واللسانيات والرياضيات، وحصل على الماجيستير في " علم الفونيمات الصرفي للعبرية الحديثة " وذلك سنة 1955م ، عيّن أستاذا للسانيات بمعهد "ماساتشوست التكنولوجي"، أين درّس الرياضيات والمنطق واللسانيات وعلم النفس والترجمة، وحظيت أعماله بالتقدير في الدوائر الأكاديمية فمنح درجة الدكتوراه من جامعة "شيكاغو"، كما دعي لإلقاء المحاضرات في عدد من الجامعات من بلدان مختلفة كجامعة كاليفورنيا وأكسفورد ولندن،وإضافة لذلك كان عضوا في عدّة جمعيات علمية لغوية وغير لغوية كالجمعية الأمريكية للتقدم العلمي والأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم، ومن أهم أعماله: "البنية المنطقية للنظرية اللسانية، اللسانيات الديكارتية، اللغة والفكر،البنى التركيبية، مظاهر النظرية التركيبية، دراسات الدلالة في القواعد التوليدية ..."

القواعد العامة التي تحكمها، وهاجم "تشومسكي " المبادئ التي انبنى عليها المذهب السلوكي كالمثير والاستجابة، وقال بأنّ الإنسان لا يختلف عن الآلة والحيوان بالفكر والذكاء فحسب بل بقدرته اللغوية، وسلوكه لا يمكن اكتشافه من خلال العمليات الشكلية التي اعتمدها الوصفيون، والفرق بينه وبين الوصفيين أنه ينتمي إلى المذهب العقلاني *Rationalisme* كـ"أفلاطون" و"ديكارت" و"هامبولت"، الذين يعتقدون أنّ العقل مصدر كلّ معرفة وهو أسمى من الحواس، لذلك كانت نظريته في النحو إحياء للقواعد الكلية التي نادت بها مدرسة " بور رويال *Port Royal* عام 1660م ، والبحوث اللغوية التي ظهرت في القرن 18 م، كما تأثر بفكرة الكليات الفونولوجية *Phonologie universelle* التي نادى بها "جاكبسون " ، وقد ذهب أحمد مختار عمر في كتابه محاضرات في علم اللغة الحديث، إلى اعتبار "جاكوبسون " المؤثِّر الأوّل على فِكر " تشومسكي "، وكان ينادي بمَبدأ " العموميات اللّغويّة " بما فيها الصوتيّة، ويرى أنّ الأبنية الصوتية المختلِفة الموجودة في لغات العالَم ما هي إلاّ مجرّد تنوّعات ظاهِريّة، تخضع لنظامٍ أساسيٍّ عام، وقد كانت هذه الفِكرة هي الجوهر أو الأساس الذي قام عليه منهج " تشومسكي " الذي يدّعي أنّ هناك عموميات لغويّة في مجال التّركيب.

وينتمي الوصفيون إلى المذهب التجريبي *Empiricisme*، الذي دعا إليه " هيوم " و"لوك "، والذي يرى بأنّ المعرفة لا يمكن الحصول عليها إلاّ عن طريق الحواس، ومن هنا رأى " تشومسكي " بأنّ العقل مصدر كلّ معرفة، وأنّ الطفل له قدرات فطرية تساعده على

تقبّل المعلومات اللغوية وعلى تكوين بنى اللغة، أي أنه مهيأ بطريقة أو بأخرى لكي يكوّن قواعد لغته الأم من خلال الكلام الذي يسمعه، وأنه يمتلك بصفة لا شعورية هذه القواعد التي تكمن في المعطيات اللغوية التي يتعرّض لها (ملكة اللغة قدرة فعّالة غريزية وفطرية).

إنّ القواعد التوليدية التحويلية لم تأت دفعة واحدة، إنما مرّت بثلاث مراحل، وهي:

* المرحلة الأولى ظهرت بظهور كتاب " تشومسكي «: " البنى التركيبية " عام 1957م، وأطلق على هذه النظرية فيما بعد اسم " النظرية الكلاسيكية *Théorie classique* ".

* المرحلة الثانية ظهرت بظهور كتابه " مظاهر النظرية التركيبية" عام 1965 م، وعرفت هذه النظرية بـ " النظرية النموذجية *Théorie standard* ".

*المرحلة الثالثة وظهرت بعدما نشر " تشومسكي " ثلاثة مقالات مختلفة حول مكانة الدلالة والبنية العميقة في نظريته، والتي جمعها فيما بعد في كتاب واحد بعنوان:" دراسات الدلالة في القواعد التوليدية " عام 1972م، وعرفت هذه النظرية بالنظرية النموذجية الموسّعة *Théorie standard élargie* ". إن التغير الجذري في اتجاه اللسانيات الوصفية قد حدث في عام 1957م عندما أصدر تشومسكي مؤلفه الشهير "البني التركيبية" معلنا بذلك عن منهج جديد لدراسة اللغة، أطلق عليه اسم القواعد التوليدية التحويلية، وقد أحدث هذا التيار العقلاني ثورة في عالم اللسانيات[70].

[70]- أحمد مومن، اللسانيات: النشأة والتطور، ص 202.

وبعيدا عن مجال اللسانيات والبحث العلمي، فقد عرف تشومسكي بآرائه السياسية، وهذه الآراء بدورها أكسبته شهرة واسعة تضاف إلى شهرته اللغوية[71].

2- أهم مبادئ المدرسة:

1- **التوليد:** يدل مصطلح التوليد على الجانب الإبداعي في اللغة، أي القدرة التي يمتلكها كل إنسان لتكوين وفهم عدد لا متناه من الجمل في لغته الأم، بما فيها الجمل التي لم يسمعها من قبل، وكل هذا يصدر عن الإنسان بطريقة طبيعية دون شعور منه بتطبيق قواعد نحوية معينة[72].

2-التحويل: تحتل التحويلات المكانة الرئيسية في القواعد التشومسكية، وتكمن مهمتها في تحويل البنى العميقة إلى بنى متوسطة وسطحية، وبعبارة أخرى، فإنها تربط البنى العميقة بالبنى السطحية، ولكن إذا ما اقتضى الأمر تطبيق أكثر من عملية تحويلية، فإن البنى المتوسطة يقوم بتوليدها عدد من التحويلات حتى يتم تكوين البنية السطحية.

---

(71)- بوقرة نعمان، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ص 144-145 بتصرف.

(72)- أحمد مومن، اللسانيات: النشأة والتطور، ص 206.

في "البنى التركيبية" ميز تشومسكي بين الجملة الأساسية التي أطلق عليها الجملة النواة، والجملة المشتقة التي أطلق عليها الجملة المحولة، وقال بأن التحويل يكشف لنا بطريقة جلية كيف تتحول الجملة النواة إلى عدد من الجمل المحولة[73].

3- النحو عند تشومسكي:

هو جهاز لتوليد الجمل النحوية في اللغة.

4- اللغة عند تشومسكي:

عرفها في كتابه "البنى التركيبية" قائلا: "من الآن فصاعدا سأعد اللغة مجموعة متناهية أو غير متناهية من الجمل، كل جملة طولها محدود ومؤلفة من مجموعة متناهية من العناصر، وكلّ اللغات الطّبيعيّة في شكليها المنطوق والمكتوب هي لغات بهذا المعنى وذلك لأن كل لغة تحتوي على عدد متناه من الفونيمات (أو الحروف)، ومع هذا، فإن عدد الجمل غير متناه"[74].

---

[73]- أحمد مومن، اللسانيات: النشأة والتطور، ص 207.

[74]- المرجع نفسه، ص 208-209 بتصرف.

5- الكفاءة والأداء:

الكفاءة: هي النظام النحوي الموجود داخل كل دماغ، أي تلك القدرة التي تتكون لدى الفرد المتكلم ويكتسبها من أفراد مجتمع معين، وتمكنه من التعبير عن نفسه، والإتيان بعدد لا متناه من الجمل الجديدة في المناسبات المختلفة[75].

الأداء: هو الاستعمال الفعلي للغة في المواقف الحقيقية[76].

6- البنية السطحية والبنية العميقة:

البنية العميقة: هي شكل تجريدي داخلي يعكس العمليات الفكرية، ويمثل التفسير الدلالي الذي تشتق منه البنية السطحية من خلال سلسلة من الإجراءات التحويلية.

البنية السطحية: تمثل الجملة كما هي مستعملة في عملية التواصل أي في شكلها الفيزيائي بوصفها مجموعة من الأصوات أو الرموز[77].

*** مرحلة البنى التركيبية ***

(النظرية الكلاسيكية)

---

(75)- أحمد عزوز، المدارس اللسانية، ص 214-215.

(76)- أحمد مومن، اللسانيات: النشأة والتطور، ص 210.

(77)- أحمد مومن، المرجع نفسه، ص 201.

لقد انشغل " تشومسكي " في كتابه " البنى التركيبية " بأبحاث النحو، و"قد انطلق في بناء نظريته المسماة النحو التوليدي التحويلي من نقده لأنصار المدرسة الوصفية "[78] وكان هدفه اكتشاف البنى التركيبية، حيث أصبحت الجملة عنده موضوعا رئيسيا للنظرية التوليدية التحويلية، وفي ضوء هذا المنحى عرّف اللغة على أنها مجموعة متناهية أو غير متناهية من الجمل، وبالتالي فإنّ عدد الجمل النحوية المقبولة أو الصحيحة غير محدود في أية لغة، يقول:" من الآن فصاعدا سأعدّ اللغة مجموعة متناهية أو غير متناهية من الجمل، كلّ جملة طولها محدود ومؤلفة من مجموعة متناهية من العناصر، وكلّ اللغات الطبيعية في شكليها المنطوق والمكتوب هي لغات بهذا المعنى، وذلك لأنّ كلّ لغة تحتوي على عدد متناه من الفونيمات (أو الحروف) ومع هذا فإنّ عدد الجمل غير متناه"، وهذا ما يعكس الجانب الإبداعي أو الخلاّق في اللغة، وهنا يختلف "تشومسكي " عن أستاذه " هاريس " . رغم أنّ معظم آرائه في هذه المرحلة كانت مماثلة لآراء " هاريس " . إضافة إلى اختلافه عنه في فكرة الحدس اللغوي للمتكلم، والتي تتمثل في أنّ المتكلم يكوّن جمل لغته ويفهمها ويدلي عليها أحكاما (الخطأ والصواب)، والخطأ والصواب يتمثل في الجمل الأصولية (الصحيحة) وغير الأصولية (الخاطئة)، فتوالي الفونيمات قد يكوّن جملا صحيحة وقد لا يكوّن جملا صحيحة، والجمل الصحيحة أو الأصولية لا يمكن تشخيصها بكل ما له معنى، أي لا علاقة لها بدلالة الجملة، إنما تتعلق بقواعد النحو، فالجملة قد تكون:

[78] – التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث و مناهجها في البحث، ص 57.

*** أصولية ولا معنى لها، مثال:

Colourless green idears sleep furiously (الأفكار الخضراء التي لا لون لها تنام بشدة).

*** غير أصولية، وهي الجملة التي لا تتوفر على السلامة النحوية، ولا الاستحسان من حيث المعنى.

مثل: جملة *Furiosly sleep idears colourless green* ، (بشدة تنام الأفكار التي لا لون لها الخضراء).

ومن هنا فإنّ نظام القواعد مستقل عن المعنى، ولقد صاغ " تشومسكي " نظريته وفقا لثلاث أنواع من القواعد قدّمها بطريقة مفصّلة وبدقة رياضية[79]، وتتمثل في:

*القواعد التوليدية (القواعد المحدودة الحالات *Modèle a etats finis*):

لقد اهتم " تشومسكي " بالجانب الإبداعي أو الخلاّق للغة، وأكّد على أنّ النظرية النحوية لا بد أن تعكس قدرة جميع المتكلمين باللغة، والنحو التوليدي . في رأيه . لا بد أن يولّد كلّ الجمل النحوية في اللغة، بمعنى أننا بإتباع قواعد نحوية محدودة يمكننا تكوين كلّ الجمل الممكنة في اللغة، وهذه القواعد قابلة للتطبيق على الأقل أكثر من مرة في توليد الجملة، وسميت بالقواعد التكرارية *Régles récursives* ومن بينها: الصفات، كإضافة

[79] – المرجع السابق، ص ص 54–60.

عدد من الصفات إلى اسم معيّن، مثال: الرجل العظيم المخلص الكريم...، والجمل الموصولة التي تستخدم فيها الأسماء الموصولة، مثال: "الذي" في قولنا: هذا هو الرجل الذي رأيته أمس والذي كان يرتدي لباسا عصريا والذي يقطن في العمارة المقابلة التي تمّ بناؤها العام الماضي...، وهي قواعد شبيهة بقواعد "ماركوف *Markov*" المحدودة الحالات في الرياضيات.

وتعتمد عملية بناء الجملة وتوليدها على مبدأ الاختيار، مثال: هذا الرجل اشترى الخبز، فلو اخترنا "هؤلاء " مثلا بدل "هذا" كان يجب إتباع هذه الكلمة بصيغة الجمع "رجال"وإتباع "رجال "بـ "اشتروا"...الخ

إنّ هذا النموذج من القواعد في نظر "تشومسكي" ليست لها القدرة الكافية على تحليل كلّ التراكيب اللغوية الموجودة في اللغة، لذلك اقترح قواعد أخرى، سمّاها بقواعد إعادة الكتابة Régles *de réecriture* (القواعد المركبية)، وهذا النموذج أكثر تعقيدا من الأول، حيث تتم طريقة التحليل بواسطته بالعودة إلى المكونات المباشرة للجملة، ويعاد كتابة الجملة بواسطة رمز يشير إلى عنصر معيّن من عناصر الكلام، مثال: ركن فعلي فعل + ركن اسمي (الفاعل) + ركن اسمي (المفعول به)، وتتمثل هذه القواعد في:

*الجملة مركب اسمي + مركب فعلي.

* مركب اسمي أداة التعريف + اسم.

* مركب فعلي فعل + مركب اسمي.

* أداة التعريف أل.

* الاسم مثل: كتاب.

* الفعل مثل: كتب.

ويمكن تمثيل هذه العناصر على طريقة المشجّر، مثال: التلميذ يكتب الدرس.

ج مركب اسمي

مركب فعلي

أداة التعريف

اسم الفعل

مركب اسمي

أداة التعريف

اسم

التلميذ يكتب الدرس

وأدرك " تشومسكي " قصور هذه القواعد، حيث أنها لا تستطيع أن تولّد كلّ التراكيب اللغوية الموجودة في اللغة، فقام بتطويرها لتكون قادرة على توليد كلّ الجمل النحوية أو المستقيمة التي تصدر عن المتكلم، فأتى بالقواعد التحويلية.

*القواعد التحويلية [80] *Régles de transformation*:

ميّز " تشومسكي" في كتابه " البنى التركيبية " بين الجملة الأساسية وهي الجملة النواة والجملة المشتقة وهي الجملة المحوّلة، ووصف الجملة النواة بأنها بسيطة وتامة وصريحة وإيجابية ومبنية للمعلوم، أما الجملة المحوّلة فتنقصها خاصة من خواص الجملة النواة، وتكون إما استفهاما أو أمرا أو نفيا أو معطوفة أو متبعة أو مدمجة.

إنّ التحويل يكشف وبطريقة جلية كيف تتحوّل الجملة النواة إلى عدد من الجمل المحوّلة، وعملية التحويل تتم وفق نمطين من القواعد، فقد تكون قواعد وجوبية Obligatoire أي لا بد منها لتوليد الجملة النواة في صورتها المجردة غير النهائية، أو قواعد جوازية *Facultative* والتي تصف الجملة المحوّلة انطلاقا من الجملة النواة ومنها: الاستفهام، الأمر، المبني للمجهول...الخ، مثال عن الجملة النواة: كتب الطالب المحاضرة. مثال عن الجملة المحوّلة: أكتب الطالب المحاضرة ؟، ما كتب الطالب المحاضرة، كُتبت المحاضرة.

[80] – التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ص 74

وتطبّق هذه القواعد لتكوين الجملة المرادة بعد تطبيق قواعد إعادة الكتابة مباشرة.

إنّ هذه القواعد لا تخرج عن إطار العمليات المستعملة في الرياضيات، مثل: الحـــــذف: أ +ب ب، الإحلال: أ ب، التوسع: أ ب + جـ ، الاختصار: ا + ب جـ ، الزيادة: أ ب + جـ إعادة الترتيب: أ + ب ب + أ ،وهي تساعد على التمييز بين الجمل التي تبدو متماثلة ولكنها في الأصل مختلفة،مثال: الجو ممطر والجو ممطر؟ والجمل التي تبدو مختلفة لكنها في الواقع متماثلة،مثال: أكل الولد التفاحة، التفاحة أكلها الولد، الولد أكل التفاحة،كما تلعب دورا في فكّ الغموض أو الالتباس الذي يكتنف بعض الجمل، مثال: *اقتناص الأسد، التي يمكن أن يفهم منها شيئان مختلفان وهما كون الأسد مفترسا أو فريسة (فاعلا أو مفعولا به)، وتأخذ بعين الاعتبار الأسماء في حالة الإفراد والتثنية والجمع والأزمنة (الحاضر والماضي والمستقبل)والصيغ (الأمر والشرط والإخبار)، وهي تعكس في رأي " تشومسكي "حدس أصحاب اللغة أفضل من غيرها من القواعد،وتولّد عدد لا حصر له من الجمل، وتزيل اللبس، وتهتم بالمعنى أكثر من القواعد الأخرى، لذلك فضّلها عليها.*

القواعد الصرفية الصوتية أو الفونولوجية[81] Régles morpho-phonologiques:

ويعني بها القواعد التي تحوّل الجملة من صورتها المورفيمية إلى صورتها الفونيمية، أي إعادة كتابة العناصر كما تنطق، مثال: فعل + ملحقات الفعل في شكله الأخير.

[81] – التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ص 68-71.

كتب + وا كتبوا.

فعل + حركات الفعل في شكله الأخير.

ك ت ب + حركات كتب.

وتطبّق هذه القواعد بعد تطبيق القواعد التحويلية، حيث تحوّل الجملة من شكلها المبهم الذي تولّده التحويلات إلى شكلها المنجز.

مثال: Le garçon avoir present manger participe passé le fromage

نعوّض avoir present بـ: a و manger participe passé بـ: mangé ،

فنتحصل على: Le garçon a mangé le fromage

إنّ النحو عند "تشومسكي" يشمل الفونولوجيا والدلالة والصرف والتركيب، ويعرّفه بأنه " جهاز لتوليد الجمل النحوية في اللغة"، وقواعده تختلف عن النحو التقليدي، إذ أنها ليست معيارية، وتختلف كذلك عن النحو الوصفي لأنها ليست وصفية، لكنها تشبه القواعد المعيارية لأنها عبارة عن تعليمات لتوليد كلّ الجمل الممكنة في اللغة، وليس الصحيحة فقط، وتشبه القواعد الوصفية لأنها تعتمد وقائع اللغات الفعلية، وليس اللغات التي ابتكرها النحاة

المحاضرة الحادية عشر

المدرسة التوليدية التحويلية 2.

مرحلة النظرية النموذجية

طوّر " تشومسكي " القواعد التوليدية والتحويلية في كتابه " مظاهر النظرية التركيبية Aspects de la théorie syntaxique " ، وفيه تدارك النقائص الواردة في كتابه الأول " البنى التركيبية "، وذلك إثر طرح " كاتز " و" فودور " فكرة ضرورة إدماج الدلالة على نحو واضح، ومن أهم الأشياء التي تحدّث عنها في هذا الكتاب: الكفاية اللغوية والأداء الكلامي، البنية السطحية والبنية العميقة، والنحوية والمقبولية.

إنّ الكفاية اللغوية [82] La Compétence Linguistique تعني المعرفة الضمنية لمتكلم اللغة بقواعد لغته التي تتيح له التواصل بواسطتها، أما الأداء الكلامي La Performance linguistique فيعني به طريقة استعمال المتكلم للكفاية اللغوية بهدف التواصل، أي المباشرة الفعلية للغة، وهذه الثنائية تقترب من ثنائية " سوسير" " اللغة والكلام"، لكن " تشومسكي " رفض فكرة " سوسير " القائلة بأنّ اللغة قائمة من المفردات التي يختار منها المتكلم الكلام، وهي قدر مشترك بين أعضاء الجماعة اللغوية، فالكفاية اللغوية خاصة بالمتكلم ولا علاقة لها بالجماعة، وهي نظام عقلي تحتي قابع خلف السلوك الفعلي، وعليه

[82] – التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ص 61.

فهو غير قابل للدراسة التجريبية المباشرة، والوسيلة التي تساعد على دراسته هي الاستبطان، إذ يساعد على إصدار أحكام على كلّ الجمل من حيث صحّتها النحوية Grammaticalité ومقبوليتها Acceptabilité ، وحسب "تشومسكي " فإنّ اللساني وصاحب اللغة يتمتعان بقدرة لغوية تتمثل في الحدس Intuition تمكّنهما من معرفة الجمل الأصولية وغير الأصولية، وتشتمل كلّ جملة على بنيتين: بنية عميقة Structure Profonde وبنية سطحية Superficielle *Structure*، وهذان المصطلحان ظهرا بصورة جلية في كتاب "تشومسكي " الثاني، وظهرا لأول مرة مع " تشارلز هوكيت Hockett Charles " في كتابه "محاضرة في اللسانيات الحديثة "، وتعني البنية العميقة الشكل التجريدي الداخلي الذي يعكس العمليات الفكرية، ويمثل التفسير الدلالي الذي تشتق منه البنية السطحية من خلال سلسلة من الإجراءات التحويلية، أما البنية السطحية فهي الجملة كما هي مستعملة في عملية التواصل بوصفها مجموعة من الأصوات المتتابعة، وتؤخذ البنية السطحية من البنية العميقة عن طريق التحويل، وهذا الشكل يوضّح ذلك:

التحويل

البنية السطحية البنية العميقة الجمل المنطوقة أو المعنى المكتوبة

إنّ التحويل[83] من خلال الشكل السابق عبارة عن جسر يربط بين البنية العميقة والبنية السطحية، ويدلّ أيضا على أنّ البنية العميقة هي المعنى، أما السطحية فهي التعبير المكتوب أو المنطوق، وتختلف البنية العميقة عن السطحية من حيث أنها تتقارب عند جميع الناس، بينما تختلف السطحية من فرد إلى آخر، مثال: كتب زيد الرسالة. وكتبت الرسالة من قبل زيد، فهاتان الجملتان لا تختلفان من الناحية التركيبية أي على مستوى البنية السطحية، لكنهما مرتبطتان ارتباطا وثيقا على مستوى البنية العميقة.

لقد عدّل " تشومسكي" نظريته فأضاف المكوّن الدلالي، الذي أهمله في كتابه الأول، حيث أنه في المرحلة الكلاسيكية قال بأنّ " الدلالة لا ترتبط مباشرة بالتركيب بالرغم من وجود بعض التطابق بين التراكيب والعناصر المكتشفة في التحليل النحوي، من جهة، والوظائف الدلالية الخاصة، من جهة أخرى"، ثم استطرد قائلا:"بعد تحديد البنية التركيبية للغة نستطيع أن ندرس كيف تستعمل البنية التركيبية خلال التوظيف الفعلي للغة"، وبعد أن وضع " كاتز " و" فودور " نموذجا للتأويل الدلالي على غرار النموذج التركيبي، أقحم هذا المكوّن الدلالي في نظريته، وقال بأنّ المعنى مثل التركيب تماما يجب أن يخضع للتحليل العلمي الدقيق، ويجب أن يدرج في التحليل النحوي بوصفه جزء مكمّلا لا يمكن الاستغناء عنه، ومن هنا فإنّ قواعد النظرية النموذجية تتكون من:

[83] – التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ص 74–77..

*المكوّن التركيبي: La composante syntaxique:

وهو المكوّن التوليدي الأساسي، ويشبه المكوّن المركبي لقواعد 1957 م، ويتألف من: مكوّن أساسي يحتوي على مجموعة من قواعد إعادة الكتابة، وعلى معجم يشتمل على عناصر معجمية تحلّ في بنى التركيب حسب قواعد خاصة، ولكل عنصر من هذه العناصر سمات فونولوجية وتركيبية ودلالية تميّزه عن غيره، ونصل بهذه الطريقة إلى البنى العميقة، ويحتوي هذا المكوّن كذلك على التحويلات، وهي . في هذه المرحلة . كلها وجوبية أو لازمة، وهي تنقل البنى العميقة إلى بنى سطحية منجزة في أشكالها الفعلية، مثال: التحويل من المعلوم إلى المجهول، الجملة المنفية والاستفهامية ...الخ ،ومن أهم خصائص التحويلات في هذه المرحلة عدم تغييرها للمعنى، فكلّ المعاني موجودة في الأساس أي قبل التحويلات، والشكل الآتي يوضّح عناصر هذا المكوّن:

مكوّن تركيبي

أساس بنى عميقة تحويلات بنى سطحية

مكوّن دلالي مكوّن فونولوجي

* المكوّن الدلالي *La composante Sémantique*:

وهو من وضع " كاتز " و" فودور " و" بوسطل "، وينقسم إلى:

أ . المعجم: فلكلّ وحدة معجمية مجموعة من الدلالات، وتتكوّن من:

. علامات تركيبية: *Les marqueurs syntaxiques* تدلّ على المقولات النحوية: اسم ، ظرف...الخ

. علامات دلالية *Les marqueurs sémantiques* وهي مقولات عامة مشتركة بين مجموعة من الوحدات، مثال: عاقل، حي، مذكر...الخ

. مميزات دلالية Différenciateures sémantiques وتدلّ على المعاني الخاصة بالوحدة المعجمية دون غيرها.

ب . قواعد الإسقاط: وتعتمد بنية الجملة التركيبية من ناحية، وخصائص الوحدات المعنوية المكوّنة لهذه الجملة، لتنتقي ما يتلاءم وتزيح ما لا يتلاءم من الخصائص الدلالية، فتحدّد دلالات الجمل الممكنة.

* *المكوّن الفونولوجي* La composante phonologique:

ويشتمل على مجموعة من القواعد الفونولوجية التي تشتق التفسير الصوتي للجملة انطلاقا من البنية السطحية لها، ثم كتابتها برموز صوتية، ومن هنا فإنّ هذا المكوّن هو الرابط بين البنى السطحية والمستوى الصوتي حسب قواعد خاصة بكلّ لغة، مثال: ولد + ال (أداة التعريف) في اللغة العربية تعطينا " الولد".

***مرحلة النظرية النموذجية الموسّعة ***

لم يكن " تشومسكي " راضيا عمّا توصّل إليه في نظريته النموذجية خاصة بعدما وجّه له علماء الدلالة الانتقادات، فأعاد النظر من جديد في نظريته وبالخصوص في المكوّن الدلالي، فعدّله، وبدا ذلك في مقالاته التي جمعت في كتاب بعنوان " دراسات الدلالة في القواعد التوليدية" ، وانطلقت هذه المقالات من صياغة كلّ من النظرية النموذجية لـ " تشومسكي " والنظرية التي جاء بها " كاتز " و" بوسطل "، والتي تنص على إدراج المكوّن الدلالي[84] في القواعد التحويلية يحتوي على قوانين تفسيرية ذات طابع مفهومي، وكان هدفه من وراء هذه المقالات إقامة نظرية معجمية تأويلية، وذلك بالتركيز على مكانة البنية العميقة وإدراج القواعد المعجمية وتقليص القواعد التحويلية، وعارض فكرة تجريد البنية التركيبية العميقة التي تصبح غير متميّزة عن البنية الدلالية، لأنّ التراكيب التي ترجع إليها بنى تحتية مماثلة تبدي اختلافات تركيبية، لا يظهرها الاختلاف الناتج عن الاشتقاق التحويلي، إنما الاختلاف الناتج عن البنية العميقة، ولما كان هذا ينطبق على الجمل المرادفة، فإنّ مستوى البنية العميقة يجب أن يكون مختلفا عن مستوى التمثيل الدلالي، والنحو كذلك يجب أن يشتمل على مكوّن دلالي تفسيري، فمثلا الجملتان:" سرور الطالب بنجاحه " و" الطالب مسرور بنجاحه " غير مرتبطتين من الوجهة التحويلية في نظر " تشومسكي " على الرغم من التشابه في المعنى، واستعمل البنية التركيبية لإظهار الاختلافات الموجودة بين الجمل

[84] – التواتي بن التواتي، المرجع السابق، ص 78.

المتشابهة، واقترح إظهار أوجه التشابه في المعجم بإسناد مدخل معجمي واحد لـهذين النوعين مـن الـمفردات، مثـل: " سـرور "، " مسـرور " ، وهـذا مـا يـدعى بـ " التحليـل المـعجمي Analyse lexical للأسماء المشتقة "، وصار خاصية من خصائص النظرية النموذجية الموسّعة، وعلـى هذا تكون هذه النظريـة متطابقـة تماما مـع نظريـة " كـاتز "، ويظهـر هذا التطابق في التشديد على إيجاد مستوى متميّز للبنية العميقة التركيبية وضرورة إيجاد قواعد دلالية تفسيرية، لكن الفرق بينهما يتمثل في التراكيب التي تتخذ مدخلا لهذه القواعد الدلالية، فإذا كان " كاتز" و" بوسطل " قد ذهبا إلى أنّ البنى العميقة التركيبية هي وحدها فقط التي يجب أن تفسر دلاليا وبأنّ التحويلات لا تؤثر في المعنى، فإنّ " تشومسكي "أكّد أنّ البنى السطحية المحدّدة صوتيا لابد أن تفسّر دلاليا مثل البنى العميقة، يقول:" إنّ اسم النظرية النموذجية الموسّعة قد أوحى به هذا التغيير في النظرية النموذجية الذي يفترض أنّ معالم الدلالة تحدّدها البنية العميقة وكذلك البنية السطحية ".

واعتمـد " تشومسـكي " فـي مرحلـة لاحقـة مـن نظريتـه علـى المنطـق والرياضـيات والبيولوجيا لإقامة نظرية القواعد الكلّية من خلال مقاربة الضوابط Conditions في القواعد، وظهر هذا الاتجاه في كتابه " مقالات في الشكل والتفسير" الذي صدر عام 1977 م، وأتى بنظرية العامل والربط الإحالي عام 1981 م، تناول فيها العلاقة بين اللسانيات البيولوجية والقواعد التوليدية التحويلية، وذلك في كتابيه: "محاضرات حول العامل والربط الإحالي" و"بعض متصورات نظرية العامل والربط الإحالي وآثارها " الذي صدر عام 1982 م.

إنّ نظرية "تشومسكي" أثّرت في تلامذته فظهر علم الدلالة التفسيري أو التأويلي مع " كاتز"و التي تعطي للدلالة دورا تأويليا فقط، وخرج عنه البعض منهم مثل " جورج لاكوف George Lakoff " الذي تزعّم مدرسة علم الدلالة التوليدي La sémantique générative، التي حاولت أن تنافس مدرسة "تشومسكي"، والقائلة بأسبقية الدلالة على التركيب بمعنى أنّ المكوّن الدلالي مسؤول عن توليد الجمل واتخاذها الشكل الذي تتخذه في التركيب، ومن ثمّ اهتمت بتعميق البنية العميقة حتى تقترب أكثر من التمثيل الدلالي للجملة، وبتوسيع العمليات التحويلية من البنية العميقة إلى البنية السطحية، وبتقليص القواعد الدلالية التفسيرية، وربطها بالتمثيلات الدلالية، فأصبح التركيب بذلك أكثر تجريدا.

وأجرى " لاكوف "عام 1973 م تعديلات على الدلالة التوليدية، ومسّت هذه التعديلات جانب اللغة أثناء الاستعمال، فاقترح نظرية دلالية تقوم بتوليد أربعة مستويات: بنية منطقية، وبنية سطحية والسياق والمعنى المنقول، ويسند المعنى السطحي للجملة في حدود البنية المنطقية التي يتم تحويلها بوساطة قواعد الاشتقاق إلى بنية سطحية، ويجب أن يشتمل النحو على مجموعة من القواعد الاشتقاقية خارج نطاق الاشتقاق الخاص بالبنية المنطقية والبنية السطحية، وأن يقوم بتفسير المعاني المنقولة عن طريق الجمل، وهكذا تمّ تعميق البنية العميقة حتى أصبحت مماثلة لتمثيلها الدلالي، ولم يعد المكوّن التركيبي تركيبيا كما ورد عند "تشومسكي"، بل أصبح دلاليا، ولما كانت البنية العميقة هي التفسير الدلالي، لم تعد هناك حاجة لقواعد الإسقاط في تفسير البنية العميقة، لذلك اختفت هذه القواعد.

لقد أصبحت الدلالة التوليدية . بعد هذه التعديلات الجديدة . تهتم بالبنية اللغوية والاستعمال اللغوي، ففي دراسة البنية اللغوية يمكن تحديد المعنى السطحي للجملة من خلال بنيته المنطقية التحتية، أما المعنى المنقول للجملة فيفسّر . في دراسة الاستعمال اللغوي الذي يدعى بـ " التداولية *La* pragmatique ". في حدود المظاهر المتصلة بالسياق.

ومن هنا فإنّ الجملة حسب هذه النظرية تشتمل على بنية منطقية تحتية تحمل معنى معيّنا، وتتحول هذه البنية إلى بنية سطحية عن طريق الاشتقاق، وتدلّ البنية المنطقية على مجموعة من العلاقات بين المحمول الرئيسي *Prédicat* والمواضيع الأساسية دون الإشارة إلى زمن الفعل، وإذا كانت القضية في المنطق تكتب في حدود المحمول (ف) الذي يعدّ مركز المجموعة من العلاقات مثل (س، ع، ص)، فإنّ القضية في الدلالة التوليدية تكتب بهذا الشكل: محمول (موضوع، موضوع، موضوع)، وتتمثل الخطوة الأولى في التحليل المنطقي في استخراج المحمول، ثم في الخطوة الثانية يتم إدراج المواضيع بطريقة منتظمة بعد المحمول مباشرة،ولقد وضع علماء الدلالة التوليدية ثلاث بنى منطقية لكلّ جملة، وهي:

*المحمول ذو الموضوع الواحد: مثال: خرج الولد، تكتب بهذه الطريقة: خ، ر، ج (الولد)، وتكون البنية المشجّرة لها على النحو الآتي:

جملة فعل مركب اسمي خ، ر،ج الولد

* المحمول ذو موضوعين: مثال: كتب الطالب الدرس، فتكتب بهذه الكيفية: ك، ت، ب (الطالب، الدرس)، وتكون البنية المشجّرة لها كالآتي:

جملـــة فعـــل مركـــب اســـمي مركـــب اســـمي ك، ت، ب الطالـــب الدرس

*المحمول ذو ثلاثة مواضيع: أعلم الأب الولد الخبر، وتتمّ كتابتها بهذه الطريقة: ع، ل، م (الأب، الولد، الخبر)، وتكون بنيتها المشجّرة كالآتي:

جملـــة فعـــل مركـــب اســـمي مركـــب اســـمي ع، ل، م الأب الولد الخبر

وهكذا لم يعد " لاكو ف " وغيره من علماء الدلالة التوليدية ينظرون إلى الدلالة التوليدية على أنها ضرب من القواعد التحويلية، إنما أصبحت في رأيهم مجرّد مقاربة لغوية تمهيدية، وأصبح موقفها إزاء القواعد التوليدية التحويلية مماثلا لموقف هذه القواعد من اللسانيات الوصفية عند " بلومفيلد ".

المحاضرة الثانية عشر: المدرسة الوظيفية الأمريكية (سيمون ديك)

يُعد النحو الوظيفي أكثر النظريات الوظيفية التداولية استجابة لشروط التنظير من جهة، ولمقتضيات النمذجة للظواهر اللغوية من جهة أخرى، فهو– كما يقول المتوكل– محاولة لصهر بعض من مقترحات نظريات لغوية (النحو العلاقي، نحو الأحوال، الوظيفية) ونظريات فلسفية (نظرية الأفعال اللغوية).

وتتلخص المبادئ المنهجية الأساسية المعتمدة في النحو الوظيفي فيما يلي:

١– وظيفة اللغات الطبيعة (الأساسية) هي التواصل.

٢– موضوع الدرس اللساني هو وصف القدرة التواصلية للمتكلم والمخاطب.

٣– النحو الوظيفي نظرية للتركيب والدلالة منظورا إليهما من وجهة نظر تداولية.

٤– يجب أن يسعى الوصف اللغوي الطامح للكفاية إلى تحقيق أنواع ثلاثة من الكفاية:

أ– الكفاية التداولية.

ب– الكفاية النفسية.

ج– الكفاية النمطية.

والكفاية التداولية تعني أن النحو الوظيفي لا يقتصر على القواعد التي تضمن سلامة بناء الجمل أو النصوص فحسب بل تعنى بالقدر نفسه برصد القواعد والشروط اللازمة لجعل تلك الجمل أو النصوص مقبولة وناجحة وملائمة للموقف التبليغي الذي تكون مسرحاً له.

وتعني الكفاية النفسية أن يحاول النحو الوظيفي أن يكون مطابقاً للنماذج النفسية التي تنقسم إلى نماذج إنتاج والتي تحدد كيف يبني المتكلم العبارات اللغوية وينطقها، ونماذج فهم وهي التي تحدد كيفية تحليل المخاطب للعبارات اللغوية وتأويلها.

ونعني بالكفاية النمطية أن النحو الوظيفي، يطمح إلى أن ينطبق على أكبر عدد ممكن من اللغات الطبيعية، ذات البنى اللغوية المتباينة، فيرصد ما يؤالف بين هذه المتباينة نمطيا وما يخالف بينها.

وتتكون بنية النحو الوظيفي المقترحة من مستويات تمثيلية ثلاثة:

١– مستوى لتمثيل الوظائف الدلالية كوظيفية المنفذ والمتقبل والمستقبل والمكان والزمان.

٢– مستوى لتمثيل الوظائف التركيبية ويندرج تحته وظيفتان فقط هما وظيفة الفاعل والمفعول.

٣– مستوى لتمثيل الوظائف التداولية وهي خمس وظائف، اثنتان داخليتان هما المحور والبؤرة، وثلاث خارجية هي المبتدأ والمنادى والذيل.

وتُصاغ الجملة عن طريق بناء ثلاثة أنواع من البُنى:

١ – البنية الحملية.

٢– البنية الوظيفية.

٣– البنية المكوّنية.

ويتم بناء هذه البنى عن طريق ثلاثة أنواع من القواعد:

أولاً– قواعد الأساس وهما قاعدتان تسهمان في بناء البنية الحملية:

١– المعجم: ويمدنا المعجم بالمحمولات (المفردات) الأصول التي يتعلمها المتكلم كما هي قبل الاستعمال، وهي على الأوزان التالية: فَعَل وفَعِل وفَعُل وفَعْلَل إضافة إلى ما أسماه النحاة العرب بالجامد.

٢– قواعد تكوين المحمولات: وهي قواعد يتم عن طريقها اشتقاق محمولات فرعية من المحمولات الأصلية.

ويرد هذان النوعان من المحمولات (الأصول والمشتقة) في أطر حملية، ونقصد بالإطار الحملي البنية التي تشمل:

أ– **المحمول:** ونعني به الفعل في الجملة الفعلية، والخبر غير الجملة في الجملة الاسمية[٦].

ب- محلات الحدود: وهي الحدود (المفردات) التي يتطلبها المحمول، وتشمل المشاركين في الواقعة التي يدل عليها، ويرمز لها بالمتغيرات (س١، س٢) وتنقسم محلات الحدود حسب أهميتها إلى قسمين:

١- حدود موضوعات: وهي الحدود التي تدل على ذوات مساهمة في الواقعة، كالذات المنفذة (الفاعل)، والذات المتقبلة (المفعول).

٢- حدود لواحق: وهي الحدود التي تدل على الظروف المحيطة بالواقعة مثل الزمان والمكان والعلة. . . ويرمز لها بالمتغيرات (ص١، ص٢. . ...).

ج- الوظائف الدلالية: (منف) ذ، (متق) بل، (مستف) يد، وهي وظائف دلالية تحملها محلات الحدود وتفهم من الواقعة الدال عليها المحمول.

د- قيود الانتقاء التي يفرضها المحمول بالنسبة لمحلات حدوده.

المحاضرة الثالثة عشر: مدرسة أكسفورد

بعد المنعطف اللغوي الكبير الذي شهدته الفلسفة في القرن العشرين، حين تحوَّل البحث اللغوي من النظرة الفلسفية المنطقية إلى التحليل ومراعاة مبدأ الاستعمال، وإلى مقاربة اللغة بوصفها موضوعا وحيدا للتفلسف لا بوصفها مجرد وسيلة للتفكير الفلسفي، كما في الفلسفة المنطقية، وفي احتفاء الفلسفة التحليلية بالاستعمال اللغوي اليومي بناء على انشغالها بدراسة الحس المشترك بمعزل عن طابع التجريد الفلسفي. وقد تطورت هذه البحوث على يد فلاسفة، أمثال جوتلوب فريجه، وبرتراند راسل، ورودولف كارناب، وفتجنشتاين...إلخ، حيث رأى هؤلاء أن اللغة مدخل أساس لفهم الظواهر الوجودية ومشكلات الفلسفة عموما.

نشأت مدرسة اكسفورد – أولا – تحت التأثير الإيجابي المباشر لأطروحات فتجنشتين الذي كان يرى أن وظيفة الفلسفة هي توضيح منطق اللغة والفحص الدقيق لكيفية عملها – لقد أنجز فلاسفة أكسفورد أوستن – رايل – ستراوسون – نويل سميث – أشعيا برلين – وارنوك ... الخ) انقلابا فلسفيا – إن صح التعبير – على الأفكار الرئيسي للوضعية المنطقية ؛ فبدلا من نظرية امكانية التحقق للمعنى التي تسمح للغة بوظيفة واحدة هي الوصف أو التقرير أحل فلاسفة اكسفورد نظرية الاستعمال للمعنى التي كشفت عن استعمالات أخرى للغة ليس الوصف إلا واحدا منها؛ كما قادتهم نظريتهم الى أنه ليس للتعبيرات اللغوية من معنى ثابت ومستقل تماما على المتكلم والسياق؛ فما من معنى للعبارات إلا ي سياق محدد أخذ المتكلم بعين الاعتبار.

ولعل النتيجة المثيرة – المترتبة على تحليل فلاسفة أكسفورد لوظيفة اللغة ونظريتهم في المعنى – هي ما انتهوا اليه من أن لكل نمط من القضايا نوع خاص من المعنى؛ مما أتاح لهم اضفاء الشرعية – أو ردها – على المباحث الفلسفية في الميتافيزيقا والأخلاق والجمال بعد أن كان الوضعيون المناطقة قد أخرجوا قضاياهم من حيز التفلسف.

مع ظهور فلاسفة أكسفورد في أواخر الثلاثينيات بدأ منهج التحليل اللغوي يتصدر فلسفة العالم الناطق بالنجليزية ;ثم احتل موقع الصدارة في أربعينيات وخمسينيات القرن ولا يزال متربعا على عرش الفلسفة دون أن تنال من مكانته الانتقادات الحادة التي تعرض لها من قبل خصومه.

نشأت مدرسة اكسفورد –أولا– تحت التأثير الإيجابي المباشر لأطروحات فتجنشتين الذي كان يرى أن وظيفة الفلسفة هي توضيح منطق

تنطلق «فلسفة أكسفورد» من «التحليل اللغوي» كأساس لمعالجة المشكلات الفلسفية والتعبير عنها باللغة العادية، وذلك من منطلق إيمانها بأن «اللغة العادية صحيحة تماماً».. وأنها بالتالي «يمكن أن تفي بمتطلبات البحث الفلسفي». وكذلك ترتكز «فلسفة أكسفورد» على نقد «المثالية» بل واستبدالها بـ «فلسفة اللغة العادية»، والاهتمام بتفسير المفاهيم و «منطق التعبيرات «وذلك بإحالة مشكلات الفلسفة إلى مسائل لغوية. لذلك أكد الفيلسوف ستراوسون ضرورة الاهتمام بتوضيح الأفكار عن طريق الاستعمال الدقيق لمنطق

التعبيرات اللفظية، كما أكد الفيلسوف أوستن أن اللغة العادية تقوم على أسس متينة تستحق الاهتمام. «فلسفة أكسفورد» لا تمثل مدرسة فلسفية ذات أسس راسخة ثابتة بالمعنى التقليدي بقدر ما تمثل حركة فلسفية عامة. ومع ذلك يمكننا القول إن أنصارها تجمعهم اهتمامات مشتركة وإن كانت أهدافهم متباينة أحياناً، ومن هذه الاهتمامات: «البدء من اللغة العادية» و«توضيح منطق الاستعمالات الخاصة بالمصطلحات» و«تحديد المعنى عن طريق الاستعمال في ظل الشروط الملائمة»،

فقد أهمل نحو الجملة لسياق الاجتماعي، الذي أكّد عليه الاتجاه الوظيفي، ويظهر ذلك في تركيزهم على الوظيفة الجوهرية والأساسية للغو وهي التواصل، وأكّد عليه . كذلك . المنهج السياقي بزعامة " فيرث "، الذي تحدّث عن الوظيفة الاجتماعية للغة، وهذا ما دفع بعلماء لسانيات النص إلى الاهتمام بالسياق والظروف المحيطة بالمتكلم والكلام والغاية المتوخاة منه، وهذه العناصر تهتم بها اللسانيات التداولية (البراغماتية).

وكانت البراغماتية تعنى في الأول بخصائص استعمال اللغة، أي الدوافع النفسية للمتكلمين وردود أفعال المستمعين وموضوع الخطاب...إلخ وذلك بمراعاة الخصائص التركيبية والدلالية، ثم تحوّلت مع " أوستين Austin " إلى دراسة أفعال اللغة، لتشمل فيما بعد نماذج الاستعمال والتلفظ، وهي تختلف عمّا يسمى بـ: "الذرائعية " التي هي عبارة عن نظرية تهتم بالفائدة العملية لفكرة كمعيار لصدقها، وهي تلحّ على المكوّن العملي والفاعل للإنسان بقصد بلوغ المعرفة، وهي نظرية فلسفية، ومن ثم يختلف هدفها عن هدف

البراغماتية، وتعدّ اللسانيات البراغماتية إحدى ثمار الاتصال بين اللغة والفلسفة، ومصطلح " Pragmatisme " استعمله لأوّل مرّة " تشارلز بيرس *Charles peirce* " (1839 . 1914) . والذي استقاه من "كانط Kant " . في مقاله " كيف نوضّح أفكارنا *How to make our ideas clear*" الذي نشره عام 1878 م، وذلك حين تساءل عن معنى الفكرة، فانتهى إلى أنّ الفكرة هي ما تعمله، أي أنّ معناها يرتبط بنتائجها وآثارها المترتبة عليها (هي نظرية في معنى الأفكار)، وعرّفها في مرحلة لاحقة بأنها جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات، وهذا التعريف يتعدى المجال اللساني إلى السيميائي،والمجال الإنساني إلى الحيواني والآلي، أما الاستعمال الحديث لهذا المصطلح فينسب إلى " تشارلز موريس Charles morris "، وذلك فيما كتبه عام 1938م حول تلخيص الإطار العام لعلم العلامات La sémiologie ، ورأى أنه يركّز على ثلاث مكونات، وهي:

*علم التركيب وهو نحو يدرس علاقة العلامات بعضها ببعض، أي أنه يهتم بالشكل.

*علم الدلالة الذي يدرس العلاقة بين العلامات وما تدلّ عليه.

*البراغماتية وتدرس علاقة العلامات بمستعمليها المؤولين لها، أي أنها مرتبطة بالسياق، إن المتتبع لتطور البحث اللساني الحديث يمكن له أن يلاحظ أن العديد من التساؤلات التي كان يطرحها الباحثون اللسانيون وفلاسفة اللغة، على أنفسهم، لم تتمكن النظريات البنيوية (Structurales) من الإجابة عنها، وقد استطاعت هذه التساؤلات أن تجد سبيلها في اتجاه

جديد، هو أصلا مجموعة من الأفكار والملاحظات اللسانية والفلسفية، صادرة هنا وهناك، كانت الغاية منها الإجابة عن مجموعة الأسئلة من نمط: من يتكلم؟ من يقع عليه الكلام؟ ماذا نفعل حينما نتكلم؟ ما هي قيود الحديث؟ لماذا التلميح أبلغ من التصريح؟ لماذا نقول أشياء ونصرح مباشرة بعدم قولها؟ متى يكون إقناعا؟ ...

وقد دفع ذلك بعض النقاد واللغويين إلى إطلاق تسمية (Poubelle Espagnole) عليها، لأنها استطاعت أن تحتوي على مجموعة كبيرة من الأفكار والتصورات ذات مستويات ومشارب مختلفة ومتفاوتة. وفي سبيل ذلك استعانتها وتوسلها لمختلف العلوم الاجتماعية والإنسانية الأخرى، وهو أمر أنجر عنه اتساع أفقها المعرفي والنظري، وجعلها قادرة على تناول مختلف الخطابات الصادرة عن الإنسان، دون أن يشكل ذلك عائق للخروج بنتائج معتبرة.

اعتبر تحديد (شارل موريس Charles Morris) أول محاولة لضبط ماهية التداولية، وقد حصرها ضمن مجال السيمائية وأسند إليها دراسة العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات وذلك بعدما بين أن تفاعل العلامات فيما بينها يشكل ما نسميه علم التراكيب، وتفاعل العلامة بما تل عليه يفضي إلى علم الدلالة.

فالتداولية إذن هي دراسة للجانب الإستعمالي للغة. وهنا تحدد (أوركيوني Orecchioni) وظيفة التداولية "في استخلاص العمليات التي تمكن الكلام من التجذر في إطاره الذي يشكل الثلاثية الآتية: المرسل – المتلقي – الوضعية التبليغية. إن أي تحليل تداولي يستلزم

بالضرورة التحديد الضمني للسياق التي تؤول فيه الجملة. وهنا يتجلى العنصر الرابط بين مختلف النظريات والتوجهات التي شكلت ما نسميه التداولية، وهو السياق Contexte. فاختلاف الزاوية التي ينظر من خلالها إلى السياق، هو الذي جعل تلك النظريات تختلف فيما بينها في تحديد ماهية التداولية. فمنهم من يرى أنها هي الأقوال التي تتحول إلى أفعال ذات صبغة وامتداد اجتماعيين، بمجرد التلفظ بها وفق سياقات محددة ومنهم من يلخص التداولية في دراسة الآثار التي تظهر في الخطاب، ويدرس هؤلاء أثر الذاتية في الخطاب من خلال الضمائر والظروف المبهمة (Déictiques). ومنهم من يلخصها في مجموعة من قوانين الخطاب Lois du discours أو أحكام المخاطبة Maximes contersationnelles على حد تعبير الفيلسوف جرايس – التي تضفي على الخطاب صيغة ضمنية أو تلميحية و ذلك من خلال دراسة الأقوال الضمنية Les énonces implicités كالافتراضات المسبقة Présupposes والأقوال المضمرة.

إن التداوليين ينظرون إلى اللغة على أنها لعبة Jeux de langage، ويقصد بها الصبغة المؤسساتية للغة أثناء الاستعمال. فعندما يتكلم الإنسان، فقد يخضع أقوله لمجموعة من القواعد الضمنية تجعله يميز بين الكلام "السوي" وغيره، مثلما هو الحال بالنسبة للاعب الشطرنج، وهذا ما يفسر استخدام مصطلح إستراتيجيات الخطاب. وقد اختصر منقونو (Mainguneau) التداولية وفق هذا التصور في أنماط ثلاثة: القانون والمسرح واللعبة. إن الكلام باعتباره فعلا متحققا لا ينفصل عن المؤسسة إذ مجرد التلفظ بالأمر، يضفي على

المتكلم مرتبة الأمر، فيضع غيره في مرتبة المأمور، وهذا قابل للتحقيق وفق شروط تحددها أعراف كل لغة. وهذا يجرنا إلى الحديث عن التعاقد الذي يمكن المتكلمين من التعارف على الصيغ الكلامية المناسبة لكل حال من أحوال الخطاب.

ونشير هنا إلى أن النمط القانوني للغة هو ذو صبغة ضمنية، فالذين لا يحترمون هذه القوانين لن يتعرضوا للسجن، إنما العقاب يكون ضمنيا، كأن نجيب شخصا قد تجاوز حدود الحديث: لم نرع الغنم معا، احترم نفسك حينما تتحدث معي... إلى غيرها من الإجابات التي يسعى المخاطب إلى إعادة مخاطبه إلى صوابه "اللغوي."

وبالنسبة للقانون، يقول منقونو[85] إنه من السهل الانتقال من النسق القانوني إلى "الدور" (Rôle) ذلك أن المسرح هو صورة مصغرة للعالم والحياة، حيث توزع الأدوار على كل شخص، وبالتالي فإن خطاب الممثلين والشخصيات المسرحية هو نفسه خطاب المتكلمين في الواقع. فالمؤلف أو المخرج المسرحي لا يخرج إلا نادرا عن الأعراف الخطابية والاجتماعية للغة التي يكتب فيها.

[85]- Maingueneau, D: Nouvelles tendances en analyse du discours. - Paris, Hachette, 1987.- p. 19.

- الدرجات الثلاث للتداولية

أ- التداولية من الدرجة الأولى أو نظرية الحديث

إن أشهر من نظر لهذه النظرية العالم اللغوي الفرنسي إميل بنفنسيت (E.Benveniste) الذي أكد على ضرورة التمييز بين اللغة كسجل من الأدلة ونظام تتركب فيه هذه الأدلة و اللغة كنشاط يتحقق من خلال وقائع الخطاب التي تخصصها علامات خاصة، تلك العلامات التي يسميها بنفنيست "المؤشرات"، يكمن دورها في تصيير اللغة خطابا فعليا. هذا التعبير يسميه الحديث Enonciation وهو إجراء اللغة وتحقيقها من خلال فعل كلامي فرد.

ب- التداولية من الدرجة الثانية أو نظرية قوانين الخطاب

وهي تتضمن دراسة الأسلوب الذي يرتبط بقضية مطروحة، حيث تكون هذه الأخيرة متباينة عن الدلالة الحقيقية للقول، وهي تدرس كيفية انتقال الدلالة من المستوى الصريح إلى مستوى التلميح، بالسعي وراء استنباط ومعرفة العمليات المتسببة في ذلك فهذه النظرية تنظر إلى اللغة باعتبارها مجموعة من الاقتراحات المسبقة ومن الأقوال المضمرة والاحتجاج...

ج- التداولية من الدرجة الثالثة أو نظرية أفعال الكلام *La théorie des actes du langage*

نطلق هذه النظرية من مسلمة مفادها أن الأقوال الصادرة عن المتكلمين، ضمن وضعيات محددة، تتحول إلى أفعال ذات أبعاد اجتماعية. تعتبر هذه النّظريّة التي قدّمها الفيلسوف أوستين، من أهمّ المحاور التّداوليّة المعاصرة، حيث أعطى صاحبها اللّغة وأفعالها

الكلاميّة مكانة كبيرة في صنع الأحداث ونقل المعنيّين من مستوى التلقّي، إلى مسرح الفعل والتّجسيد إذ تكتسي هذه الأفعال قيمتها حين يوظفها أصحاب الكفاءات والمحاججة والإبانة.

يطلق أوستين مصطلح إخباري، للدلالة على النّوع الأوّل من القضايا في مقابل (أدائي) ليعبّر عن تلك القضايا الّتي تؤدّي بالفعل ما تصفه الأفعال، كما يطلق مصطلح "فعل الكلام (Acte locutoire) بصورة كثيفة للدّلالة على النّظريّة الّتي تحلّل دور الملفوظات في علاقتها بسلوك المتكلّم والسّامع في التّواصل المشترك، وليس فعل الكلام متعلقًا بمعنى الكلام. بل هو بالأحرى نشاط تواصلي يتحدد بمرجعية مقصد المتكلّم أثناء كلامه والآثار النّاجمة عنه عند السّامعين.[86]

وترجع هذه النظرية في أول عهدها إلى الفلاسفة التحليليين الإنجليز أمثال أوستين (Austin) وتلميذه سيرل اللذان بينا أن اللغة ليت بنى ودلالات فقط، بل هي أيضا أفعال كلامية ينجزها المتكلم ليؤدي بها أغراضا، فهو عمل يطمح المتكلم من خلاله إلى إحداث تغيير معين في سلوك المخاطب بالفعل أو بالكلام. تقول أوركيوني في هذا الإطار: "إن الكلام هو بدون شك، تبادل للمعلومات، ولكنه أيضا إنجاز لأفعال مسيرة وفق مجموعة من القواعد (بعضها كلية، حسب هابرماس (Habermas) من شأنها تغيير وضعية المتلقي وتغيير منظومة معتقداته و/أو وضعه السلوكي، وينجز عن ذلك أن فهم الكلام وإدراكه يعني تشخيص مضمونه الإخباري وتحديد غرضه التداولي، أي قيمته وقوته الإنجازية"

[86] محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحِجَاج في البلاغة المعاصرة، المرجع السابق ص 182. بتصرف

تعتبر هذه النّظريّة التي قدّمها الفيلسوف أوستين، من أهمّ المحاور التّداوليّة المعاصرة، حيث أعطى صاحبها اللّغة وأفعالها الكلاميّة مكانة كبيرة في صنع الأحداث ونقل المعنيّين من مستوى التلقّي، إلى مسرح الفعل والتّجسيد إذ تكتسي هذه الأفعال قيمتها حين يوظفها أصحاب الكفاءات والمحاججة والإبانة.

يطلق أوستين مصطلح إخباري، للدلالة على النّوع الأوّل من القضايا في مقابل (أدائي) ليعبّر عن تلك القضايا الّتي تؤدّي بالفعل ما تصفه الأفعال، كما يطلق مصطلح "فعل الكلام (Acte locutoire) بصورة كثيفة للدّلالة على النّظريّة الّتي تحلّل دور الملفوظات في علاقتها بسلوك المتكلّم والسّامع في التّواصل المشترك، وليس فعل الكلام متعلقًا بمعنى الكلام. بل هو بالأحرى نشاط تواصلي يتحدد بمرجعية مقصد المتكلّم أثناء كلامه والآثار النّاجمة عنه عند السّامعين.[87]

1. **أقسام نظريّة الأفعال اللّغويّة عند أوستين:**

- القول في حدّ ذاته؛ أي فعل إنتاج الأصوات وتركيب الكلمات في بناء يلتزم بقواعد اللّغة ويحمل دلالة معيّنة.
- القول الفاعل؛ أي الفعل الّذي ننجزه أثناء القول ونؤكّد بالقوّة البلاغيّة.
- الفعل التّأثيري (غير المباشر)؛ أي الأثر غير المباشر الّذي تحقّقه بالفعل[88].

[87] محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحِجَاج في البلاغة المعاصرة، ص 182. بتصرف

[88] المرجع نفسه، ص 184.

تمثّل أعمال أزوالد ديكرو وجون كلود أوسكومبر اتّجاهًا مميّزا في اللّسانيّات التّداوليّة الحديثة فقد رفضا التّصور القائم على فصل الدّلالة والتّداوليّة التّي تُعنى بالاستعمال لأنهما يعتقدان أن الأمر كلُّه منوط ببنيّة اللّغة، ذلك أن الجزء التّداولي فيها يكون مدمجا في الدّلالة.

وعليه يغدو الحِجَاج عندهما مركوز في بِنيَّة اللّغة ذاتها، وليس فيما يمكن أن ينطوي عليه الخطاب من بنيّات شبه منطقيّة فالخطاب وسيلة لحجاج وغايته في آنٍ واحدٍ ، حيث يتحقق الحِجَاج عندهما حين بتقديم المتكلّم بقولٍ (ق 1) أو مجموعة أقوالٍ. تؤدي إلى التّسليم بقولٍ آخر (ق 2) أو مجموعة أقوالٍ أخرى سواء أكان (ق2) صريحًا أو ضمنيًّا. حيث يُصطلح على عمليّة قَبول (ق 2) على أنّه نتيجة للحجّة (ق1) بعمل المُحاجَّة.

قد تبدو قضية الانتقال بين الأقوال وكأنّه عمليّة استدلال، إلا أن الباحثين لا يغفلان التمييز بين عمل المُحَاجَّة وبين عملية الاستدلال فالفرق بينهما أساسه ربط المتكّلم آرائه واعتقاداته بحالة الأشياء في الكون (العالم)، أما الحِجَاج فهو عمليّة موجودة في الخطاب نفسه، فالحجاج في تصوّرهما خاصيّة لغويّة دلاليّة وليس ظاهرة مرتبطة بالاستعمال في المقام. فهو قائم في جوهر اللغة كما أنه واسع جداً فكلّ قول في منظورهما حِجاجي.

كما يتحقّق الحِجَاج في تصوّرهما من خلال تتابع الأقوال تتابعًا صريحّا أو ضمنيّا؛ أي تتابع الحُجَّة والنتيجة، حيث لا يستند ترابط تلك الأقوال إلى قواعد الاستدلال المنطقي، بل هو ترابط حجاجي لأنّه مسجّل في أبنية اللّغة بصفته علاقات توجِّه القول وجهة دون أخرى.

من المفاهيم المهمّة كذلك في هذه النّظريّة مفهوم الاقتضاء وهو ما ينقله القول إلى المخاطب بصفة ضمنيّة. أما هدف الحِجَاج عندهما فهو التّوجيه (l'orientation)؛ ويكون بتوجيه المتلقى بالتأثير فيه، أو إقناعه أو جعله يُقدِم على عملٍ ما.

يمكن القول إنّ أعمال هذيّن الباحثيّن أعمال ذات منزع بنيوي حيث تغلق النّص أو الخطاب، إذ تحيل اللّغة ضمن هذا الدّاخل اللّغوي على ذاتها، لأنّها تعكس عمليّة قولها بحيث يكون معنى القول هو ما ينقله من وصف وتمثيل لعمليّة قول ذلك القول.، وأما توسيع دائرة الحِجَاج لتشمل كل الأقوال ففيه مبالغة كبيرة لأنّ للغة وظائف أخرى لا تقل أهميّة عن الحجاج.

المحاضرة الرابعة عشر: المدرسة الخليلية الحديثة

هي نظرية لسانية عربية معاصرة، وهي نظرية رياضية في قضايا اللسان العربي، تعتمد على الفكر اللغوي العربي القديم، وهي نسبة إلى العالم الرياضي الفذّ الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175هـ) الذي سبق غيره إلى استعمال المفاهيم الرياضية لضبط النظام اللغوي وإلى وضع علم العروض، واختراع الشكل ووضع الحركات على الحروف، وتخطيط أول معجم للغة العربية وهو كتاب "العين". وتعتبر النظرية الخليلية الحديثة التي يتزعمها الباحث في اللسانيات العربية ،اللساني الجزائري عبد الرحمن الحاج صالح، امتدادا مباشرا لنظرية النحو القديمة التي أنشأها الأولون أمثال الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه والأخفش الأوسط وأبو علي الفارسي وابن جني والرضي الاستربادي وغيرهم ... وفيها اعتمد عبد الرحمن الحاج صالح على النحو الخليلي كمصدر لبناء نمط لغوي حديث، والذي يعتبر في الآن ذاته إحياء للتراث الخليلي القديم على شكل مفاهيم جديدة مستعينا بمعرفته الواسعة في مجال اللسانيات الحديثة على اختلاف وجهات نظرها لخلق نظرية في اللسانيات العربية. وتدعو هذه النظرية إلى ضرورة الرجوع إلى التراث العلمي اللغوي الأصيل والنظر فيما تركه أولئك العلماء الفطاحل الذين عاشوا في الصدر الأول من الإسلام حتى القرن الرابع الهجري ومحاولة تفهم ما قالوه و ما أثبتوه من حقائق علمية « قلّ ما توصل إلى مثلها كل من جاء

قبلهم من علماء الهند واليونان ومن بعدهم كعلماء اللسانيات الحديثة في الغرب»[89] وذلك بغية الوصول إلى فهم أسرار اللغة العربية وإجراء مقارنة موضوعية بين نظرة النحاة العرب الأوائل والنظريات اللسانية العربية المعاصرة.

تعتبر هذه النظرية امتدادا لنظرية النحو العربي الأصيلة التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي وتلميذه سيبويه ومن جاء بعده من النحاة الذين اعتمدوا على كتابه، ولهذا فإنّ هذه النظرية أطلق عليها هذا المصطلح، لأنّها نظرية أصيلة لأصالة التراث الخليلي العربي، هذا العالم صاحب أفكار علمية عظيمة كتلك « المفاهيم التي ظهرت باسم "العامل" والزمرة والدوارة" وهما الفكرتان اللتان بنى عليهما أول معجم عربي أخرج للناس هو كتاب العين»[90] فهي نظرية تعبّر عن مجموعة من الآراء المتناسقة والمتتابعة بشكل منطقي والغاية منها تحليل وتفسير ظاهرة لغوية أو طبيعة بين أهل الاختصاص، فالنظرية الخليلية هي مجموعة من الفرضيات التي يعرضها الباحث عبد الرحمن الحاج صالح بغية استنباط قوانين معينة لنظام اللغة العربية بمفاهيم عربية أصيلة توصل إليها الخليل وأتباعه من المدرسة الخليلية القديمة والتي كانت ممتدة من القرن الثاني الهجري حتى نهاية القرن الرابع الهجري، فكانت هذه النظرية نتيجة جهود متواصلة قضى فيها صاحبها عبد الرحمن الحاج صالح سنوات طويلة من عمره من أجل إخراجها إلى الواقع ،ولكونها اجتهادا علميا ظهر في زماننا

---

[89]– عبد الرحمن الحاج صالح، "أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية" مجلة اللسانيات، العدد 04، الجزائر: 1973– 1974، ص 26.

[90]– عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة مفاهيمها الأساسية، دار هومة، ع 4، الجزائر: 2007، ص 5.

وهو قراءة جديدة للتراث الخليلي ومن جاء بعده من النحاة أطلق عليها مصطلح الحديثة: إذ تعكس هذه النظرية الفكر الخليلي المبدع وتدعو إلى ضرورة الرجوع إلى التراث العلمي اللغوي الأصيل والنظر فيما تركه علماء اللغة القدامى والذين يعتد بهم في الميدان العلمي، وتضم هذه النظرية جماعة من الباحثين على رأسهم عبد الرحمن الحاج صالح*. وتعبر النظرية الخليلية الحديثة امتدادا للتراث الأصيل، وبعثا وأحياءا للقديم في شكل جديد، فهي قراءة جديدة للتراث النحوي العربي تحمل في ثناياها آراء وأفكار النحاة الأولين المبدعين وبالأخص الخليل بن أحمد الفراهيدي، فهي في الواقع نظرية ثانية، لأنّها في الوقت نفسه تنظير وبحث في أسس النظرية الخليلية الأولى.

وقد انطلقت هذه النظرية في قراءاتها للتراث النحوي العربي وتأصيل أفكاره من منطلقين أساسيين هما:

* ولد عبد الرحمن الحاج صالح بمدينة وهران سنة 1927 ينحدر من عائلة بني راشد، درس الطب ثم انتقل إلى مصر ليتمم تخصصه في علم الأعصاب كما درس أيضا اللسانيات الحديثة والرياضيات أدت به إلى التعمق في المفاهيم المنطقية والرياضية القديمة الحديثة، اشتغل كأستاذ بجامعة الرباط بالمغرب بين 1961- 1962، لينتقل بعدها إلى التدريس بجامعة الجزائر بعد الاستقلال بسنتين تحصّل على شهادة الدكتوراه من السربون بفرنسا سنة 1979 برسالته المعنونة« اللسانيات العامة واللسانيات العربية دراسة ابستيمولوجية لعلم العربية » كما حصل على شهادة التبريز من باريس، عيّن رئيسا لقسم اللغة العربية وقسم اللسانيات بجامعة الجزائر، ثم عميدا لكلية الآداب في الجامعة ورئيسا لمجمع اللغة العربية سنة 2000، وهو صاحب عضوية في عدة مجامع عربية (القاهرة، دمشق، عمان...)، وله واحد وسبعون بحثا ودراسة في مختلف المجالات العلمية منها: معجم علوم اللسان في مجلدين، بحوث ودراسات وعلوم اللسان في جزأيه (عربية، فرنسية، وانجليزية) بالجزائر، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية في جزأيه (ج1، وج2)....كما شارك في مؤتمرات المجمع بالأبحاث والمحاضرات.....

1- أنّ التراث لا يفسر إلا بالتراث، إذ لا يمكن إسقاط مفاهيم وتصورات دخيلة على التراث، تتجاهل خصوصياته.

2- أن التراث ليس طبقة واحدة من حيث الأصالة والإبداع، فهناك تراث من تراث، فالتراث الذي اهتمت به النظرية الخليلية الحديثة هو التراث العلمي الأصيل الذي تركه العرب الأوائل المبدعون الذين عاشوا زمان الفصاحة وشاهدوا فصحاء العرب، وقاموا بعمل ميداني جبّار من أجل جمع وتدوين التراث اللغوي العربي وهو أكبر مدوّنة لغوية في تاريخ العلوم اللسانية.

إن اللغة العربية كلغة بشرية؛ أي كأداة تبليغ واتصال الناطقين بها هي ظاهرة من الظواهر التي يمكن رصدها وتحليلها وإحصاء عناصرها، وبالتالي استنباط قوانينها واستكشاف أسرارها بكيفية موضوعية والوصول إلى حقائق حول اللسان العربي وهذا ما فعله علماء اللغة العربية والأولون الذين نزلوا إلى الميدان وأجروا التحريات اللغوية في الواقع.

لقد اعتمد عبد الرحمن الحاج صالح في تحليله للمدونة اللسانية العربية وقراءاته للدرس اللغوي العربي القديم على مفاهيم لغوية وتصورات علمية إلى جانب مجموعة من المناهج التحليلية والتي بيّن من خلالها قيمة النحو العربي وأهميته كموضوع للدراسة وهو ما أسماه بـ:

* **المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة:**

1- اللغة وضع واستعمال: يعتبر التواصل البشري ملازما لحياة الإنسان منذ القدم، فقد رافق وجوده منذ أن وعى الحياة وهو في مجمله عملية نقل للمعنى بين أفراد المجتمع، فالتواصل هو العملية التي بها يتفاعل البشر في سياقات اجتماعية معنية فهو تكيّف لغوي في مختلف المواقف والأغراض، واللغة نظام لربط المفردات المتواضع عليها لكونها نظام من العلامات تمثل الجانب الاجتماعي، فهي أداة تعبير يشترك فيها مجموعة من الناس، واستعمال هذه العلامات مرهون بشرط تبليغ رسالة ما ولا يحصل الإبلاغ إلا عن طريق الاستعمال، لذا وجب على الإنسان أن يميّز بين ما هو راجع إلى الوضع وبين ما هو راجع إلى الاستعمال. إذ يؤكد عبد الرحمن الحاج صالح أن اللغة مجموعة من الدوال والمدلولات ذات بنية عامة ثم بنى جزئية و هذا هو الوضع، أي ما يتبنه العقل من انسجام وتناسب بين العناصر اللغوية والعلاقات التي تربطها من جهة ومن جهة اخرى ما يثبته من تناسب بين العمليات المحدثة لتلك العناصر على شكل تفريعي أو توليدي (من الأصل إلى الفرع) فالوضع هو «النظام المنسجم من الأدلة الصوتية ذات المعاني، حيث تواضعت عليه الجماعة لا الفرد، قيل عنه أنّه ظاهرة اجتماعية متوارثة عبر أجيال ليس ملك الفرد الواحد، إذ أنّه لا يستطيع أن يتدخل فيها، هو مثل الأنظمة الاجتماعية الأخرى (الزواج، الطلاق والنظام الاقتصادي

...»[91] فالوضع لا خلاف فيه، لأنّه من صنع الجماعة لا الفرد. فهو « تخصيص الشيء بالشيء بحيث إذا أطلق الأول فُهِمَ منه الثاني»[92] فهو القانون الذي يتمثل في مجموعة من الألفاظ الموضوعة إزاء المعاني، فاللغة نظام منسجم من الأدلة الصوتية ذات معاني، ولا تقرّ بأنّ اللفظة استعملت في معنى أو خرجت عنه إلا إذا تمت المواضعة عليها من طرف الجماعة، فاللغة تؤدي وظيفة إبلاغية بعدما تؤدي الكلمات المفردة مهمتها في وضعها على التسمية ولا يحصل الإبلاغ إلا عن طريق الاستعمال أو النظم كما سماه عبد القاهر الجرجاني وتكون فيه الصيّغ صورة متكاملة غير مقطوعة عن سياقها، لأنّ دلالة اللغة لا تكون بعزل الألفاظ عن سياقها، فوظيفة اللغة الأساسية هي التواصل والتفاهم وفيها يظهر «فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا أو تكلموا أو أخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد وراموا أن يعلموهم ما في نفوسهم ويكشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم».[93] وعملية التكلم هي استعمال لنسق اللغة المتفق عليها، والاستعمال هو كيفية إجراء الناطقين لهذا الوضع في واقع الخطاب، فقوانين الاستعمال تختلف عن قوانين الوضع، فلكل منها قوانينه الخاصة التي يسير على منوالها ونتج عن ذلك أنّ اللفظ والمعنى في الوضع غيرهما في الاستعمال، فسيبويه على إثر الخليل ميّز بين السلامة التي يقتضيها القياس (الوضع) والنظام العام الذي يميّز لغة من لغة أخرى والسلامة التي يقتضيها الاستعمال الحقيقي

---

[91]– التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، دار الوعي للنشر والتوزيع، رويبة الجزائر، ص 88.

[92]– عبد الرحمن جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، مكتبة دار التراث، القاهرة: 1998، ص 38.

[93]– الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمد سيد رضا، دار المعرفة بيروت ، د ت، ص 325.

للناطقين لذلك يقول سيبويه في حديثه عن مفهوم الاستقامة « في باب الاستقامة من الكلام والإحالة»[94] حيث ذكر أن منه:

– المستقيم الحسن، مثل: أتيتك أمس وسآتيك غدا.

– المستقيم الكذب، مثل: حملت الجبل، وشربت ماء البحر، فهذا الكلام غير منطقي والواقع لا يؤكده، إذا أنّ الإنسان لا يمكنه أن يحرك الجبل ويحمله، ولا أن يشرب ماء البحر لأنّه مالح جدّا.

– المستقيم القبيح، مثل قد زيد رأيت، ف "قد" في هذه الحالة جاءت في غير محلها، لأنّها تأتي –عادة – قبل الفعل الماضي والمضارع ولا تأتي أبدا قبل الاسم.

– المحال الكذب، مثل: سوف أشرب ماء البحر أمس فالجزء الأول من الكلام يدل على المستقبل (سوف) والجزء الثاني على الماضي (أمس) وهذا تناقض فاضح سيبويه إذا على منوال الخليل هو أول من ميّز بين السلامة الراجعة إلى اللفظ (المستقيم الحسن القبيح) والسلامة الراجعة إلى المعنى (المستقيم، المحال).

لذلك يقول عبد الرحمن الحاج صالح أنّه « ينبغي لمن يحلل عناصر اللسان من دوال ومدلولات أنّ يفرق بين ما هو راجع إلى التأدية واختلاف كيفياتها بين الأفراد والمجتمعات والأقاليم، وبين ما هو خاص بالوضع لا خلاف فيه، لأنّه شيء مجرّد من أعراض

[94]– أبو عمرو بن عثمان بين قنبر (سيبويه)، الكتاب، ج 1، تحقيق عبد السلام هارون، دار العلم، القاهرة: 1966، ص 25– 26.

الاستعمال لفظا كان ومعنى».[95] فالاستعمال نظام من الأدلة الموضوعة لغرض التبليغ والاستعمال الفعلي لهذا النظام في الممارسات اللغوية اليومية وفي واقع الخطاب، فلا يمكننا الاقتصار على ضرب معين من الاستعمال دون غيره، فالوضع واحد، لكن الاستعمالات متعددة ومتنوعة، إذ يحدث للغة أثناء الاستعمال تغيرات على مستوى البنية الأصلية ويكون ذلك بالحذف أو القلب أو إبدال وحدة لغوية بأخرى، لذلك لاحظ عبد الرحمن الحاج صالح وجود أكثر من مستوى في الاستعمال وهما نوعان، نوع سماه بالتعبير الترتيلي أو الإجلالي[96] ونوع سماه بالتعبير الاسترسالي فالأول تقتضيه حرمة المقام وهي حال الخطاب التي سماها الجاحظ بموضع الانقباض[97] وفيه يظهر المتكلم اهتمامه الزائد لما ينطقه من حروف وما يختاره من ألفاظ وتراكيب ما يؤدي به إلى الوقوع في الخطأ مثل ما يحدث في خطاب الخطيب وخطاب المذيع ومحاضرات الأساتذة فهؤلاء كل واحد منهم يبلغ به « فرط التصحيح إلى اللحن وليس الجلي الآن بل خفي على أكثر الناس كإظهاره ومدّه لحركات الإعراب في مواضع الوقف وكفّكه لما يجب إدغامه وغير ذلك».[98] لهذا نجدهم يخرجون من إطار الفصحى الصحيحة إلى العامية التي يستعملونها. أمّا التعبير الاسترسالي (الفصيح العامي) فهو هذا الذي تقتضيه مواضع الأنس كخطاب الأبناء والزوجة في المنزل والأصدقاء أو شخص آخر في غير مقام الحرمة وهذا التعبير العفوي غير المتكلف قد وجد بالفعل في

---

[95]– عبد الرحمن الحاج صالح، "أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرّسي اللغة العربية " مجلة اللسانيات، ع 4، معهد العلوم اللسانية والصوتية، 1973، ص ص 39.

[96]– عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ج 1، ص 176.

[97] – المرجع نفسه، ص 177.

[98]– المرجع نفسه، ص 177.

المخاطبات بين فصحاء العرب في الزمن الذي كانت تكتسب الملكة بالسليقة؛ أي بدون تلقين ويمتاز هذا النوع بكثرة الاختزال والحذف والإدغام والتقديم والتأخير وكثرة الإضمار.

2- مفهوم الباب والمثال: لقد كثر الحديث عن هذا المفهوم عند العديد من النحاة وعلى رأسهم سيبويه وهذا يبيّن أهمية هذا المصطلح الذي يتقاطع مع مجموعة من أخرى من المفاهيم، وهذا دليل على أنّه من المصطلحات المفاتيح، والباب هو مفهوم رياضي أبدعه الخليل بن أحمد الفراهيدي ،هو مفهوم لا يقتصر على مستوى واحد من مستويات اللغة بل ينطبق على جميع المستويات، فالباب «لا يخص مستوى من مستويات اللغة ولا جانبا واحدا من جوانبها، بل ينطبق على اللفظ والمعنى أفرادا وتركيبا وما هو أعلى من هذه المراتب».[99]

فالباب كما فهمه عبد الرحمن الحاج صالح هو « مجموعة من العناصر تنتمي إلى فئة أو صنف وتجمعها بنية واحدة»[100] وهي مجموعة بالمعنى المنطقي الرياضي وليست مجرد جنس بالمعنى الأرسطي وهذا يعني أنّ « القدر المشترك بين أفراد الباب الواحد ليس مجرّد صفة، بل بنية تحصل وتكتشف في نفس الوقت بحمل كل فرد على الآخرين لتتراءى فيها هذه البنية».[101]

---

[99] – عبد الرحمن الحاج صالح بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ص 318.

[100] – المرجع نفسه، ص 318.

[101]– المرجع نفسه، ص 318.

وقد أوضح عبد الرحمن الحاج صالح مفهوم الباب على مستوى الكلمة، إذ بيّن أنّ سيبويه يُطلق مفهوم الباب «على المجموعات المرتبة من الحروف الأصلية للكلمة الثلاثية من ض ر ب – ر ب ض وغيرهما وكذلك على أبنية الكلمة؛ أي على أوزانها باب فَعَلُ وباب فَعُلَ وغيرهما. وهذان البابان يخصان الكلمة كما ترى أن مستوى المفردات».[102]

أمّا الباب على مستوى التركيب فيقول عبد الرحمن الحاج صالح أنّ سيبويه فيسمي أنواع التراكيب أبوابا وذلك مثل قوله في باب "حسبك" وباب "لقيا و حمدا»[103]

فالباب يتأتى لنا بعملية منطقية رياضية تسمي قديما حمل الشيء على الشيء أو إجراءه عليه أو اعتبار شيء بشيء. وحديثا تطبيق مجموعة على أخرى تؤدي إلى إظهار بنية تشترك فيها جميع عناصرها وقد أوضح لنا عبد الرحمن الحاج صالح بالرسم الآتي كيف يتوصل المحلل إلى هذه العملية:

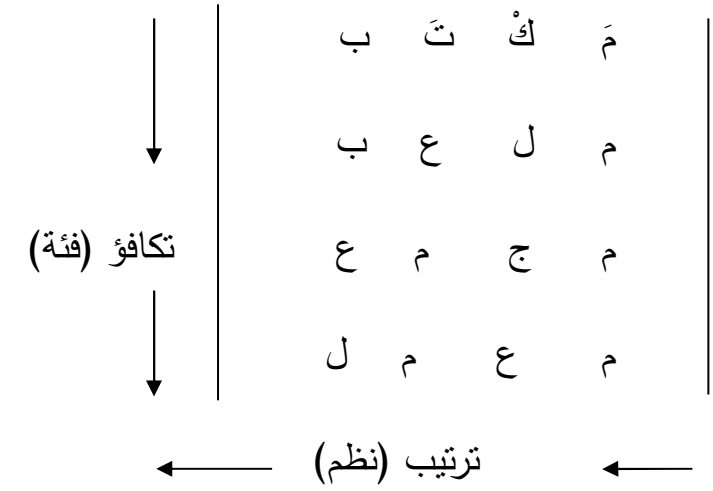

[102]– المرجع السابق، ج 1 ص 318.

[103] – المرجع نفسه، ص 318.

فهذه فئة اسم المكان الثلاثي، أي باب مَفْعَل (مثاله مفعل)

تكافؤ ← فئة + ترتيب (أو نظم) = فئة اسم المكان؛ أي باب مَفْعَل ومثاله مَفْعَل.

إذ وجد في مثال مفعل متغيرات هي الحروف الأصول (الفاء، العين، واللام)، أمّا الثوابت فهي الحركات والسكنات والزوائد: فالجامع بين هذه الوحدات ليس فقط جنسها (بل البنية التي تجمعها)، ولا يمكن أن تستخرج بإدخال بعضها في بعض، بل بحمل كل جزء منها على نظيره مع مراعاة انتظامها؛ أي مع اعتبار كل جزء في موضعه فالتحديد عند النحاة أكثر من هذا القبيل وهو يهتم «في نفس الوقت بالمحورين الاستبدالي والتركيبي بين التكافؤ (الانتماء) والنظم، فالفئة = La classe عندهم ليست أبدا البسيطة؛ أي مبنية على الكيف =Qualitatif

تحددها صفة مميزة فقط، بل في الوقت نفسه على الكيف والكم، والكم هنا هو العدّة مع الترتيب ،بمراعاة كل شيء في موضعه».[104]

نظم أو (ترتيب) إجراء أو حمل شيء على شيء

كَ ضَ نَ حـ ...
تَ رَ ظَ مـ ...
بَ بَ رَ ل...
مناسبة (تكافؤ)

جنس = فئة

فَعل (تمثيل لبنية المجموعة)
Simulation de la Structure de l'ensemble

[104] – عبد الرحمن الحاج صالح، المرجع السابق، ص 212.

فالنحو العربي الخليلي لا يقتصر على التحديد بالجنس والفصل، بل تتجاوزهما «بإجراء الشيء على الشيء أو بحمل العنصر على الآخر»[105] وذلك بجعل علاقة مباشرة بين العناصر التي توجد بين مجموعتين على الأقل لاستنباط البنية التي تجمعها.

أمّا المثال « فيحصل بتركيب عمليتين: عملية تجريدية تؤدي إلى فئة تسلط عليها هي نفسها عملية أخرى ترتيبية فيحصل بناء معين مشترك يسمى مثالا».[106] فمفهوم المثال يطلق على « مجموع الرموز المرتبة التي تمثل بها بنية الباب».[107] وفائدة المثال وغايته تتمثل في أنّه « الجمع في باب واحد بين عناصر مختلفة بالكشف عن أهم شيء فيها وهي صيغتها المشتركة لا صفتها الذاتية على مستوى الكلمة وعلى مستوى التركيب فهو موجود في كل المستويات في أدناها كمستوى الكلمة (وهي المكون للفظة ومستوى التراكيب الذي هو فوق اللفظة»[108] فالمثال مجموع الحروف الأصلية والزائدة مع حركاتها وسكناتها كل في موضعه وهو البناء أو وزن الكلمة، فعن طريق المثال تتأتى لنا العناصر الأصلية (الفاء والعين واللام) وعلى هذا الأصل يمكن إجراء عمليات تحويلية وهي التصاريف التي تجري على المادة الواحدة بين الأوزان .على هذا فإنّ «المثال هو حد تتحدد به العناصر اللغوية ولكنه حدّ إجرائي PRoCessive définition ،لأنّه ترتسم فيه جميع العمليات التي بها يتولد

---

[105]– المرجع السابق، ص 212.

[106]– المرجع نفسه، ص 319.

[107]– المرجع نفسه، ص 319.

[108] – المرجع نفسه، ص 251.

العنصر اللغوي في واقع الخطاب»[109] وقد ترجم عبد الرحمن الحاج صالح مصطلح المثال باللفظ الأجنبي الفرنسي Schème générateur فهو مفهوم لا ينطبق على مستوى الكلمة فقط بل ينطبق على جميع المستويات الأخرى، فللفظة الاسمية والفعلية مثال وهو« مجموع الكلم الأصلية والزائدة مع مراعاة دخول هذه الزوائد وعد م دخوله (العلامة العدمية) كل في موضعه».[110]

أمّا مستوى التراكيب والذي بناه النحاة على مفهوم العامل وهو مفهوم عربي لا مقابل له في اللسانيات الغربية، فقد حمل النحاة العرب القدامى الجمل بعضها على بعض فاكتشفوا البنية اللفظية الجامعة بينها؛ أي أحدثوا القياس بين هذه البنى المختلفة والعنصر الذي يتحكم في هذا المستوى هو العامل (ع) وله معمولين أساسيين: المعمول الأول (م1) والمعمول الثاني (م2)، على هذا فالمثال هو حدّ صوري إجرائي تتحدد به العناصر اللغوية.

3- مفهوم القياس: يحصل القياس في النحو العربي بناء على العملية المنطقية الرياضية: التفريع من الأصل على مثال سابق أي بحمل الجمل بعضها على بعض فتظهر موازاة بين العناصر وهذا النوع يسميه النحاة في مستوى الجمل قياسا، فهو «بناء لكلمة أو كلام باستعمال مواد أولية هي كالمعطيات واحتذاء صيغة الباب الذي ينتمي إليه العنصر

---

[109]- المرجع السابق، ص 319.

[110]- عبد الرحمن الحاج صالح: "العلاج الآلي للنصوص العربية والنظرية اللغوية " مقال غير منشور، ص 6.

المحدث. وهذا التفريع لا يجوز إلاّ إذا اطّرد الباب، وإذا لم يطّرد فيقاس على الأكثر؛ أي على الصيغة الغالبة في الباب والاستعمال (لا في الاستعمال وحده)».[111]

وعلى هذا فإنّ القياس هو حمل شيء على شيء لجامع بينهما ولقد ظهر هذا المصطلح نتيجة لتصورات النحاة لفكرة الأصل والفرع إذ يقول عبد الرحمن الحاج صالح: « والقياس كمصدر لفعل قاس هو تلك العملية المنطقية الرياضية التي سميناها تفريعا من الأصل على مثال سابق».[112] أما «كاسم فهو هذا التوافق في البناء نفسه، أمّا من حيث المنطق الرياضي فهو تكافؤ équivalence العناصر في البنية بمعنى أنّ القياس يحدث نتيجة لعملية تطبيق مجموعة من نوع التقابل النظيري Bijection لا غير»[113] وتطبيق النظير على النظير سببه « كون النظائر هي مجموعة الأفراد التي تنتمي إلى باب وكونها نظائر بعضها لبعض معناه أنّ كل واحد منها هو المقابل والمساوي في الصيغة (مهما اختلفت عنه) لجميع عناصر الباب، والنظير غير الشبيه، بل المتفق في البناء وهذا التوافق في البناء هو الذي يسميه النحاة قياسا»[114] فحمل عنصر على عنصر يظهر التطابق بين هذه العناصر في البنية .

4*مفهوم الأصل و الفرع: ارتكز التحليل اللغوي عند العرب على مبدأ الأصل والفرع وقد ميز النحاة العرب الأولون الأصول عن الفروع حين حددوا «الأصل على أنّه ما يبنى عليه

---

[111]– عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات" ص 05.

[112] – عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1/ ص 323.

[113]– المرجع نفسه، ص 323.

[114]– المرجع نفسه، ص 322– 323.

ولم يبن على غيره وهو النواة أو العنصر الثابت الذي لا يتغير»[115] وقد رمز له عبد الرحمن الحاج صالح برمز (0 الأصل) فالأصل هو العنصر الثابت الذي لا زيادة فيه أو النواة الذي يستقل بنفسه، إذ بإمكانه أن يتواجد وحده في الكلام ولا يحتاج إلى علامة ليتمايز عن فروعه فله العلامة العدمية، و بما أنّ اللفظ هو أول ما يتلقاه المستمع في حين يأتي المعنى في المرحلة الثانية فإنّ الانطلاق في التحليل يجب أن يكون من اللفظ في أبسط أحواله، فهو الأصل الذي ليس فيه زيادة ولا علامة له، فميزته الأساسية هو خلوه من الزوائد، أمّا « الفرع فيبنى على أصل أو أصول (على مثال سابق)، أو هو الأصل مع زيادة أي شيء من التحويل، بمعنى الفروع متغيّرات متعددة وجودها يتعلق بالأصل من جهة وبصفاتها الذاتية من جهة أخرى».[116] فكل كيان لغوي عند النحاة العرب إمّا أصل بني عليه أو فرع يبنى على غيره بناء على مثال سابق. وكل مستوى فيه أصل وفرع فلكلمة أصول وفروع، وللفظة أصول وفروع وكذلك مستوى التراكيب.

5- الانفصال والابتداء: ينطلق النحاة العرب في تحليلهم للمدونة اللغوية العربية من واقع اللفظ وواقع الخطاب في الوقت نفسه، فينظرون في المخاطبات العادية، فلاحظوا أنّ أقل ما يمكن أن ينطق به من الكلام المفيد، قطعة صوتية بالنسبة لكلام العرب ومثل # كتاب# أو أي قطعة مماثلة كجواب لسؤال: ما بيدك؟ مثلا وهذه القطعة هي في الوقت نفسه كلام مفيد

---

[115]- عبد الرحمن الحاج صالح، "المدرسة الخليلية والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، مقال غير منشور، ص 06.

[116] - Abderrahmane Hadj Salah, Linguistique et linguistique générale, Tome2, P240.

وقطعة لفظية لا يمكن أن يوقف على جزء منها مع بقاء الكلام مفيدا وهذا ما يطلقون عليه "ما ينفصل ويبتدئ" فهذه القطعة «وحدة لفظية لا يحدّدها إلا ما يرجع فقط إلى اللفظ، وهو الانفصال والابتداء، ووحدة إفادية، لأنّها يمكن أن تكون جملة مفيدة، وعلى هذا فهي تحتل مكانا يتقاطع فيه اللفظ مع المعنى أو البنية بالإفادة»[117] ويعتبرون هذه القطعة بحملها على قطع أخرى لها منزلتها؛ أي "تنفصل وتبتدئ " من مثل: # بكتاب# و# بالكتاب# و# كتاب كبير# فكل قطعة من هذه القطع يمكن أن تكون كلاما مفيدا ولا يمكن أن يوقف على جزء منها، ثم يرتبون هذه العبارات على أساس تفريعي، أي على أن بعضها أصل للبعض «والأصل عندهم هو ما يبنى عليه، وبالتالي ما ليس فيه زيادة».[118]

وهذا عكس ما يفعله البنيويون في الدراسات اللسانية الغربية الذين ينطلقون في تحليلاتهم للكلام من التقطيع إلى أدنى القطع بالاعتماد على الاستبدال، إذ يقطعون قطعة الكلام من الكلام فيختبرونها باستبدالها بقطعة أخرى فإذا بقي الكلام كلاما مستقيما ومفهوما فهي قطعة يمكن أن تقوم مقام الأولى، وإن تغيّر المعنى فإنّها تحصيل لكلام آخر، وإلا فهو أداء من الأداءات اللغوية.

فالنحاة العرب المتقدمون لا يفترضون شيئا مثلما يفعل علماء اللسانيات الغربية، بل ينطلقون من أقل ما يمكن أن ينطق به وهو ما "ينفصل ويبتدئ" وهو الأصل الذي لا زيادة فيه،

---

[117]– عبد الرحمن الحاج صالح، "المدرسة الخليلية والدراسات اللسانية العربية"، ص 12.

[118] – عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، ص 249.

فالأصل في الأمثلة السابقة هو # كتاب# وتتفرع عليه العبارات الأخرى التي هي مكافئة لها بمنزلتها من حيث الانفصال والابتداء (= الانفراد) بإلحاقها ما يسمونه بالزوائد، وهي أداة التعريف وحرف الجرّ على اليمين والإعراب والتنوين والمضاف إليه والصفة على اليسار هذا في حدّ الاسم. وقد تبيّن للنحاة أنّ بعض الأسماء لا تقبل الزوائد فوصفوها بأسماء غير متصرفة، في حين وصفوا الأسماء التي تقبل هذه الزوائد بالأسماء المتصرفة.

6- الموضع والعلامة العدمية: الموضع هو المكان الذي تحتله بعض العناصر اللغوية في مفهوم الحدّ أو المثال الذي هو حدّ صوري إجرائي تتحدد به العناصر اللغوية حيث ترتسم فيه جميع العمليات التي بها يتولد العنصر في الخطاب والمثال فهو ينطبق على جميع مستويات اللغة من مستوى الكلمة إلى مستوى التراكيب.

فالموضع هي خانات تحدّد بالتحويلات التفريعية؛ أي الانتقال من الأصل إلى الفرع بالزيادة التدريجية وهو ما سماه النحاة العرب التحويل الطردي، أو برد الشيء إلى أصله فيكون التحويل عكسيا، فهذا التحويل يخضع لنظام من القواعد والتفريع وبالتالي له مقابل وهي الحركة العكسية، فكل كيان لغوي بالنسبة للنحاة، أمّا أصل تتفرع عنه زوائد أو فروع تبنى على أصل بالتالي تعود إلى أصولها وهذه العمليات الانتقال من الأصل إلى الفرع أو العودة من الفرع إلى الأصل يتحدد بها مكان أو موضع كل عنصر داخل المثال أو الحد وتكون هذه المواضع فارغة، فالزوائد تدخل وتخرج، وخلو الموضع أو المكان يعنى الخلو من العلامة أو تركها وهو ما يسمى بالعلامة العدمية Expression Zéro عند عبد الرحمن

الحاج صالح، وهي التي تختلف في موضع لمقابلتها لعلامة في موضع آخر، فالمذكر أصل والمؤنث فرع مثل خرج Ø وخرجت كما هو موضح في الجدول الآتي:[119]

حرف جر	أداة تعريف	النواة الاسمية	علامة الإعراب	التنوين أو المضاف إليه	الصفة
⟶	⟶	⟷	⟵	⟵	⟵
2	1	0	1	2	3

من خلال الجدول يتضح أنّ النواة الاسمية يمينا ويسارا تدخلها الزوائد وتخرج منها بعمليات الوصل وقد تكون فارغة؛ أي خالية من العنصر، لأنّ الموضع شيء وما يحتوي عليه شيء آخر، وهذا الخلو من العنصر مع بقاء أو ثبات الموضع هو ترك للعلامة وخلو منها؛ أي علامة عدمية.

ففي حدّ الاسم عنصر ثابت هو النواة وهو الأصل ورمز له برمز (0) في الرسم وهذا الأصل يمكن أن يسبق بعدد من الزوائد والتي تعبر من حدّة وهي قرائنه وهذه القرائن تكون إمّا وحدات مخصصة أو رابطة تزاد على يمين الأصل أو يساره وهي متعددة وكل عنصر من هذه العناصر بما فيها النواة يحتل موضعا محددا في الحدّ ففي حدّ الاسم مثلا: نجد:

[119] – عبد الرحمن الحاج صالح، دراسات في اللسانيات العربية، ج 2، ص 14.

الموضع (0) هو موضع النواة / والموضع (1) وهو موضع أداة التعريف بعده الموضع (2) وهو موضع حروف الجر هذا يمينا أمّا يسارا فنجد الموضع رقم (1) وهو موضع علامات الإعراب ثم الموضع رقم (2) وهو خاص بالإضافة أو التنوين وأخيرا الموضع رقم (3) وهو موضع الصفة وكل هذه الوحدات المحمولة بعضها على بعض هي نظائر للنواة ومكافئة لها وهي بمنزلتها من حيث أنها وحدات منفردة ومتنوعة عليها بالزيادة.

7- مفهوم اللفظة: لقد انطلق النحاة العرب الأوائل في تحليلهم للكلام من أقلّ ما يمكن أن ينطق به وهو مستوى اللفظة LA lexie وهو مستوى مركزي تتحد فيه الوحدة اللفظية والوحدة الإعلامية أو الإفادية، فهذا المنطلق «هو في نفس الوقت وحدة لفظية (Unité sémiologique) لا يحدّدها إلا ما يرجع فقط إلى اللفظ، وهو الانفصال والابتداء ووحدة إفادية UNITE COMMUNICATINNELLE لأنها يمكن أن تكون جملة مفيدة (فقد اكتشف في الكلام الحقيقي) وعلى هذا فهي تحتل مكانا يتقاطع فيه اللفظ مع المعنى أو البنية بالإفادة»[120] ولقد كان الانطلاق عندهم من أقل ما ينطق به مما ينفصل ويبتدئ (= ينفرد) وهو الاسم المظهر بالعربية إذ يقول الخليل بلسان تلميذه: « لا يكون اسم مظهر على حرف أبدا ، لأنّ المظهر يسكت عنده ليس قبله ولا يلحق به شيء »[121] الذي يسكت عنده لا بأي قبله ولا بعده شيء هو الاسم الذي ينفرد وكل شيء يتفرع عليه ولا يمكن لما في داخله أن ينفرد فهو بمنزلته، ولهذا سمي النحاة الأولون هذه النواة بالاسم المنفرد وما بمنزلة الاسم المنفرد وهو "اللفظة" وقد مثّل عبد الرحمن الحاج صالح لهذه المفاهيم بهذا التصور أو المثال أو الحد الذي يتحدد به الاسم لفظيا وهذا الرسم يوضّح ذلك:

---

[120]- عبد الرحمان الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، ص 219.

[121]- المرجع نفسه، ص 219.

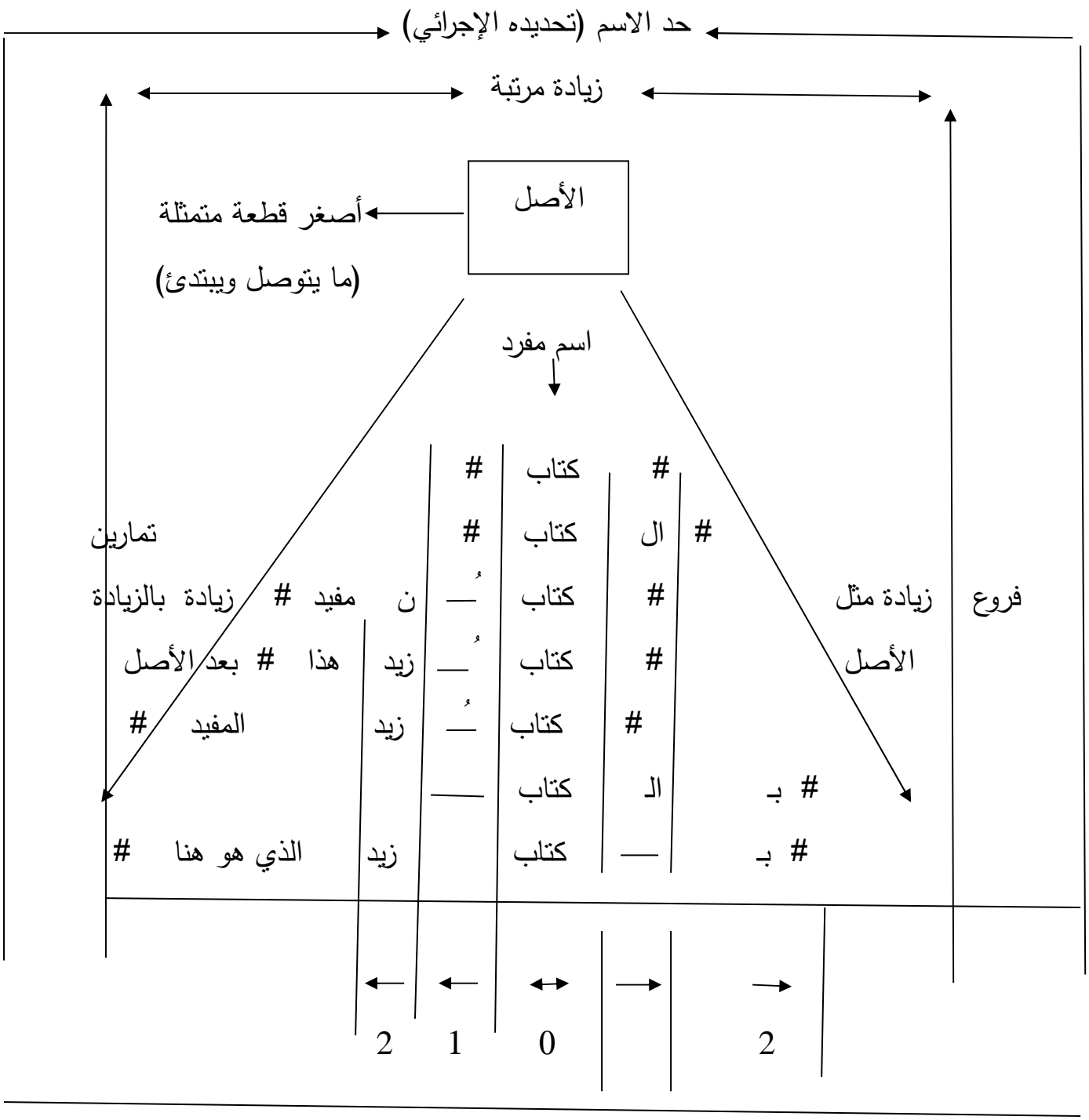

يلاحظ في هذا المثال المحدد للاسم أو اللفظة الاسمية أنّ كل الوحدات المحمولة بعضها على بعض هي نظائر للنواة (0) ↔ وهي العنصر الأول في الرتبة فهي الأصل.

فهذا الأصل يمكن أن يظهر وحده في الكلام، أمّا الفعل والحرف فلا يظهران أبدا إلا مع الاسم وميزته الأساسية هي خلوة من الزوائد. فالزوائد تدخل وتخرج عن طريق التحويلات أو التفريعات إلا أنّ « ما يظهر في داخل المثال المولد للفظة هي عبارات متكافئة حتى ولو كان بعضها أطول بكثير من البعض الآخر وذلك لا يخرجها عن كونها لفظة».[122] فكل هذه القطع بالنواة أو بالنواة وزوائدها مهما طالت بمثابة اسم منفرد واحد.

8- العامل: إنّ العامل هو العنصر اللغوي الذي يؤثر على بقية العناصر ويتحكم فيها لفظا ومعنى في التركيب فهو الذي يحدد العلامات الإعرابية الموجودة في البناء.

وهذا المصطلح اكتشفه النحاة العرب الأوائل بفضل حمل الشيء على الشيء لاكتشاف البنية التي تجمعها من خلال صياغة رياضية منطقية وفق منهج علمي، لهذا انطلق النحاة العرب في تحليلهم للكلام البشري من أقل ما يمكن أن يبني على الكلام مما هو أعلى من اللفظة لاكتشاف البناء، فبدون العامل لا يوجد البناء فهو مستوى أعلى من مستوى اللفظة ويعني به التراكيب والجمل وقد بدأ به سيبويه تحليلاته في كتابه « فالنحاة العرب المتأخرون لم يفرقوا بين التركيب بمعنى البناء الذي نجده في مستوى اللفظة، وبين التركيب الذي يحصل في مستوى أعلى من اللفظة، ففي هذا المستوى (أبنية الكلام) يبحث عن المثال المفرد الذي يبنى عليه أقل الكلام المركب وذلك بحمل كلام آخر من جنسه».[123] فالعامل

---

[122]- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، ص 221.

[123]- بشير إبرير " أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة" مجلة العلوم الإنسانية، ع 07، جامعة محمد خيضر بسكرة، فيفري 2005، ص 09.

إذا يغيّر في اللفظ و المعنى غي التركيب و « يتحكم في بقية التركيب كالتأثير في أواخر الكلم (الإعراب)»[124] وهذا استنتجه النحاة من العمليات العملية أو الإجرائية وقد مثّل عبد الرحمن الحاج صالح للعامل:[125]

Ø	زيدٌ	قائمٌ
إنّ	زيدًا	قائمٌ
كان	زيدٌ	قائمًا
حسبت	زيدًا	قائمًا
أعلمتُ عمرًا	زيدًا	قائمًا
1	2	3

ففي العمود رقم (1) يدخل عنصر قد يكون كلمة أو لفظة أو تركيبا وله تأثير على بقية التركيب ولذلك سمي "عاملا " وقد يخلو موضع العامل من العنصر الملفوظ فرمز له عبد الرحمن الحاج صالح بـ (Ø) والذي يسمونه بالابتداء.

9- مفهوم الحركة والسكون: لقد نال الجانب الصوتي في اللغة العربية حصة الأسد في الدراسات اللغوية العربية، لأنّ من قراءة القرءان وتعلم وتعليم اللغة العربية لا يتم دون دراسة النظام الصوتي لهذه اللغة، وقد كان أبو الأسود الدؤلي من السباقين إلى وضع المعايير التأسيسية للنحو العربي وفهم صيغة الصوت العربي حين أشار إلى خاصية

[124] – عبد الرحمن الحاج صالح، المرجع السابق، ص 223.

[125] – المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

الحركات القصيرة عندما قال لكاتبه «سأقرأ القرآن فإذا فتحت شفتي بالحرف فضع نقطة فوقه، وإن كسرتها فضع نقطة تحته، فإن ضممت شفتي فضع نقطة فوقه عن شماله».[126]

فإذا كان أبو الأسود قد بدأ بالنقط، فإنّ الخليل بن أحمد الفراهيدي يعدّ أول من وضع الحركات بدل النقط، بحيث وضع أولا أبجدية اللغة العربية على النحو الآتي: ع ح هـ خ ج – ق ك ح ش ض – ص س ز– ط د ت– ظ ث ذ– ر ل ن – ف ب م – و ا ي همزة. إلا أنّ مفهوم الحركة يبقى غامضا في أذهان الباحثين وهذا « الغموض راجع إلى عدم تمييز هؤلاء بين الحركة كصوت مسموع (أي مصوت) والحركة التي تمكن من إخراج الحرف ووصله بغيره، والخروج منه إلى حرف آخر»[127] ويقصد بالحركة عند العلماء الأولين «الحركة العضوية والهوائية التي تمكن من إحداث الحرف، وفي الوقت نفسه تستلزم الانتقال من مخرج إلى مخرج آخر»[128] فالحركة تمكننا من نطق الحرف إذ بها نتوصل إلى « إخراج الحرف، والسكون لا يمكن من ذلك».[129] ومفهوم الحركة والسكون تنفرد بها اللغة العربية ولا نجدهما في الصوتيات الغربية.

---

[126]– كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، د ط، 2000، ص 222.

[127]– محمد صاري، "المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية" مجلة علوم اللسان وتكنولوجية، ع 10، مركز البحوث العلمية لترقية اللغة العربية، الجزائر 2005، ص 10.

[128]– عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 2، ص 168.

[129]– بودلعة حبيبة العماوي، النظرية الخليلية الحديثة وكيفية توظيفها في تدريس اللغة العربية –المركب الاسمي أنموذجا– رسالة ماجستير، الجزائر: 2001– 2002، ص 80.

ii- مستويات التحليل التي تعتمدها النظرية الخليلية الحديثة: من خلال المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية الحديثة نجد أنا يتم تحليل الكلام وفقها إلى مراتب ومستويات وتتمثل في: مستوى اللفظة، إذ يعتبر المنطلق الأول للتحليل اللغوي إلى ما تحت وإلى ما فوق باعتبار مستوى اللفظة هو أقل ما يمكن أن يلفظ به من الكلام وفيه تتحد الوحدة اللفظية والوحدة الإعلامية أو الإفادية فهو مركزي، بحيث كل مستوى من هذه المستويات يتكون من وحدات، وكل وحدة من هذه الوحدات تتكون من وحدات أخرى، لذا فهو المنطلق الذي ينطلق منه التحليل. وهذا الجدول يبيّن مستوى اللفظة وما فوقها وتحتها من مستويات:

مستوى (05)	↑ أبنية الكلام أو البنى التركيبية
مستوى (04)	↑ اللفظة: السماء والفعال مع العلامات التي تدخل على كل واحد منها
مستوى (03)	↑ الكلم: اسم وعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل
مستوى (02)	↑ الدوال (العناصر الدالة): مواد أصلية، صيغ حروف معاني، ترك العلامة
مستوى (01)	↑ الحروف وعددها في العربية 28 حرفا جامدا وستة أصوات (حركات / وحروف مد)
مستوى (0)	↑ الصفات المميزة: المخارج من حلق إلى الشفتين: الصفات: الجهر، الهمس...

فكل مستوى داخل هذا الجدول من المستوى الخامس إلى المستوى الأدنى يتركب بعضه على بعض فالمستوى الخامس يتركب من المستويات التي في الأسفل وهكذا دواليك.

1 مستوى اللفظة (الحد الإجرائي للاسم والفعل لقد بدأ النحاة العرب الأوائل تحليلهم للمدونة اللسانية العربية من مستوى اللفظة كونه المستوى المركزي، إذ لم ينطلقوا من الوحدة الصوتية ولا من مستوى الكلمة أو الجملة أنّها من المستوى الذي تتحدد فيه الوحدة اللفظية بالوحدة الإعلامية فاللفظة عبارة عن اتحاد الكلم فيما بينها؛ أي الاسم مع الاسم أو الاسم مع الفعل أو الفعل مع الحرف أو الاسم مع الحرف وقد أشار سيبويه إلى ذلك في قوله:« إنّ المضاف والمضاف إليه بمنزلة اسم واحد».[130] وكذا في معرض حديثه عن الجار والمجرور قائلا: «إنّ المجرور داخل في الجار فصارا كأنهما كلمة واحدة».[131] وتحدث عن هذا أيضا عندما زواج بين الصفة والموصوف وجعلهما كأنهما اسم منفرد حين قال: « فأمّا النعت الذي جرى على المنعوت فقولك: مررت برجل ظريف قبل، فصار النعت مجرورا مثل المنعوت، لأنهما كالاسم الواحد».[132]

وكل من المضاف والمضاف إليه، والجار والمجرور، والصفة والموصوف مجموعة من الكلم لا تجزأ أو تقسم إذ تجري مجرى كلمة واحدة وهذا ما عبّر عنه سيبويه بقوله: « الاسم الواحد أو بمنزلة اسم واحد أو بمنزلة اسم واحد منفرد فهذه القطع لا تنحل إلى أجزاء فهي بمثابة قطعة واحدة ولا يمكن التفرقة بينها، وقد عرّفها عبد الرحمن الحاج صالح مستوى اللفظة قائلا: « إنّ الوحدات في هذا المستوى ليست الكلم مجردة من لوازمها، بل هي وحدات يندمج

---

[130]– سيبويه، الكتاب، ج 2، ص 146.

[131]– المصدر نفسه، ص 226.

[132]– المصدر نفسه، ص 421.

فيها الاسم والفعل مع ما يقترن به لزوما من أدوات مخصصة له ثابتة وغير ثابتة».[133] على صورة دخول وخروج سميت عند نحاتنا القدامى بالتعاقب.[134] واللفظة نوعان: لفظة اسمية، ولفظة فعلية «وتنتظم عناصرها حسب مقاييس خاصة وسميت هذه المقاييس عند النحاة العرب بالحدود وللفظة الاسمية حدّ واحد وللفظة الفعلية ثلاثة حدود باعتبار الماضي والمضارع والأمر».[135]

فإذا كان للفظة الاسمية حدّ واحد وقد سبق لنا وأن تعرضنا إليه فإنّ اللفظة الفعلية تختلف عن الاسم في كونها متفرعة إلى ثلاثة حدود، فالفعل في النظرية الخليلية هو أحد أنواع الكلم الثلاثة، إذ يقول عبد الرحمن الحاج صالح في مفهوم الفعل: « لفظ الفعل يحلل عموما إلى مادة هي علامة الحدث وصيغة هي علامة أحوال الحدث الذي يحدّد زمانه بفضل الزوائد التي تختص بالدخول على الفعل».[136] ويمكن توضيح ذلك بالشكل الآتي:

---

[133] - Abderrahmane Hadj Salah, Linguistique arabe et linguistique générale, Tome2, P669.

[134]– عبد الرحمن الحاج صالح " أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، ص35.

[135] - Abderrahmane Hadj Salah, Linguistique arabe et linguistique générale, Tome 2, P 669.

[136] - Ibid P 631.

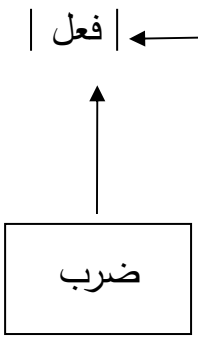

فإذا أخذنا المثال: ضرب، ضارب، مضروب لدينا المادة (ض- ر- ب) التي تدل على الضرب في وضع العربية والأوزان: فعل، فاعل، مفعول، التي تدل على المعاني التالية: حدث منقطع، اسم الفاعل، اسم المفعول[137] إذ نجد أنّ اللفظة الفعلية فيها: حدّ الفعل الماضي وحدّ الفعل المضارع وحدّ فعل الأمر وكل فعل يمكن أن يسبق بعدد من الوحدات اللغوية التي تعبر جزء من حدّه ولكل حدّ من حدود اللفظة الفعلية زياداته الخاصة به ويمكن أن نمثل للفظة الفعلية بحدّ الفعل الماضي.[138]

[137] - Abderrahmane Hadj Salah, Linguistique arabe et linguistique générale, Tome 2,P 631 .
[138] -Ibid, p 631 .

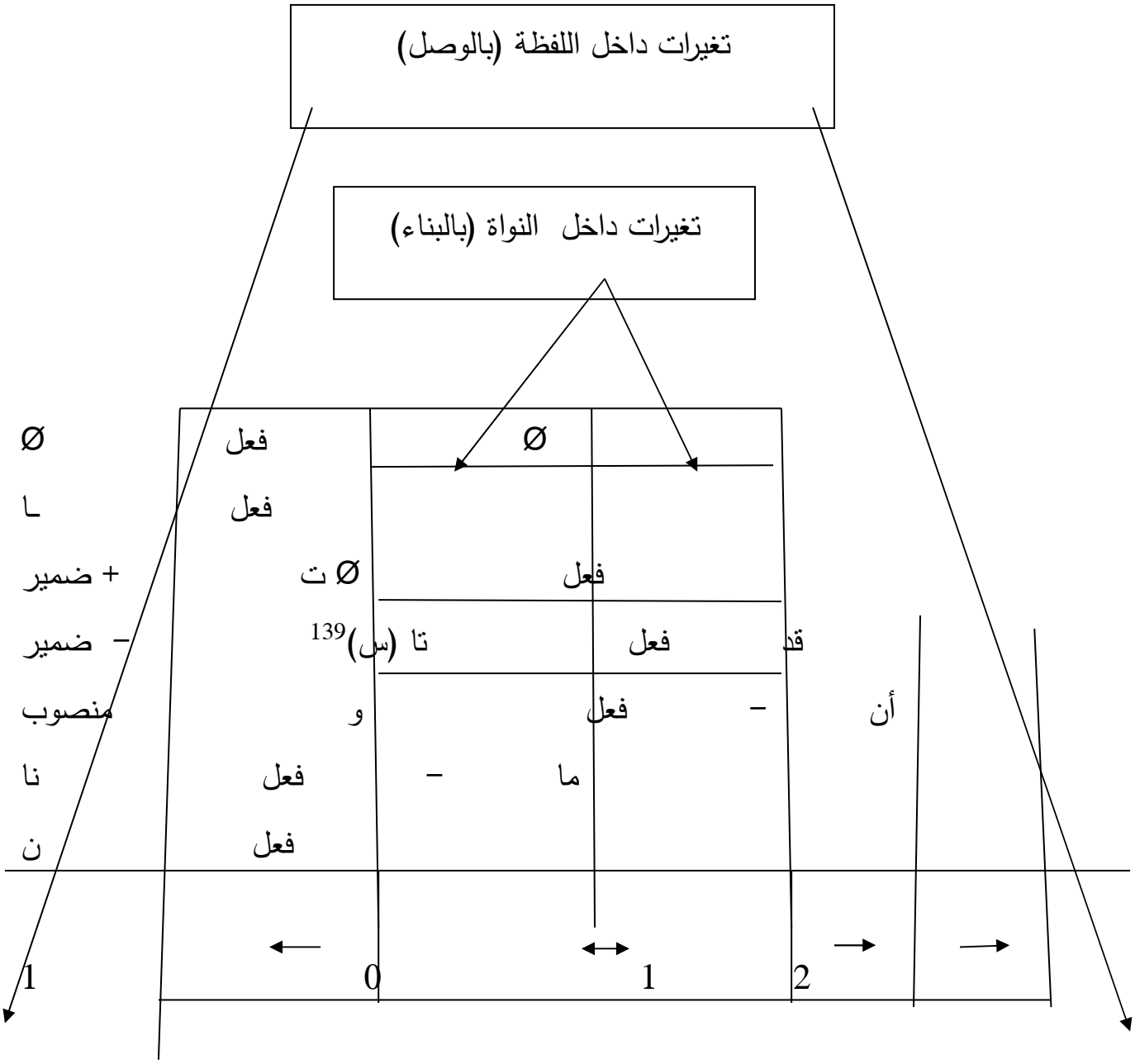

فالموضع رقم 0 هو الأصل والنواة الفعل الماضي وهي متكونة من كلمتين (فعل + ضمير) ومجموع تغيّرات النواة تعتبر أصلا بالنسبة للزوائد الموجودة داخل اللفظة ويوجد داخل هذه الأمثلة أصل هو المذكر الغائب + ضف إليه علامة عدمية، لأنّه أقل ما يمكن أن ينطق به في واقع الخطاب.

الموضع رقم 1: موضع مخصص لـ قد: وهو التأكيد على الحدث المنقطع

[139] يشير الرمز (س) إلى تغيرات الفاعل الذي يدل على المتكلم أو المخاطب (تُ– تَ– تِ– تما...)

الموضع رقم $\overrightarrow{2}$: موضع "أن" و"ما" المصدريتان تدخلان على الفعل الماضي فيدل بعدهما على مصدر.

الموضع رقم $\overleftarrow{1}$: هو موضع الضمائر المتصلة المنصوبة التي تحدد طبيعة المفعول به.

وقد تبيّن أنّ هناك أوجه اتفاق واختلاف بين اللفظة الاسمية واللفظة الفعلية في كون كلاهما مكونتان من أصغر قطعة صوتية تنفصل وتبتدئ وكلاهما لها تفريعات وتحويلات ناتجة عن الأصل يمينا ويسارا، إلا أنّ للفظة الاسمية حدّ واحد وتحتوي نواتها على عنصر واحد وزوائدها هي حروف الجر، التنوين، الإضافة وأداة التعريف وفيها موضع الإطالة والتكرار في حين اللفظة الفعلية لها ثلاثة حدود ماضي، ومضارع، وحدّ الأمر نواتها مركبة من (فعل +فاعل) وزوائدها هي السين، سوف، أدوات النفي، الضمائر المتصلة وليس فيها للإطالة والتكرار....

ومن المستويات التي توجد تحت اللفظة سواء الاسمية أو الفعلية نجد:

مستوى الكلم: يعرّف سيبويه وحدات هذا المستوى بقوله: « الكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل»[140] ومن خلال تعريفات النحاة القدامى يعرّف عبد الرحمن الحاج صالح الكلمة بقوله: « الكلمة هي العناصر التي تتكون منها اللفظة، فالأصل مثل "كتاب" في الحدّ السابق هو لفظة تحتوي على عنصر واحد أمّا "الكتاب" فهو مساو تماما لـ كتاب

[140]– سيبويه، الكتاب، ج 1، ص 12.

من حيث أنّه يقوم أحدهما مقام الآخر بنية الكلام (لهما موضع واحد في مستوى الكلام) إلا أنّ "الكتاب" يتكون من عنصرين؛ أي كلمتين».[141]

والكلم نوعان: المتمكن أي ما ينفصل بنفسه ويستقل بمعناه ولا يحتاج إلى غيره للدلالة وهي الأسماء والأفعال المتصرفة التي لا تحتاج إلى غيرها في الدلالة على معناها.

وغير المتمكن: ويتمثل في حروف المعاني والأفعال الناقصة وغير المتصرفة والأسماء المبنية فهي تحتاج إلى غيرها من الكلم، وتتميز الكلم المتمكنة بكونها تتركب من أصل وصيغة وحدّها الإجرائي:

الكلمة = المادة الأصلية + الصيغة (الوزن) [142]

وكل من المادة الأصلية والصيغة كيانان مجردان مثّل لهما النحاة الأوائل بمثال يبرزون فيه المكونات الأساسية لكل عنصر منها الأصلية والزائدة، فجعلوا لكل حرف من الحروف الأصول الأول والثاني والثالث رموزا تمثلت في: الفاء والعين واللام، هذا بالنسبة للثلاثي وزائد عليها، الزوائد دون تجريدها إلى رموز. وعلى هذا الأساس تجري مجموع العمليات التحويلية، وهي التصاريف التي تجري على المادة الواحدة شتى الأوزان؛ أي المثل "وتتم الطريقة التي تكتشف بها المثل في هذا المستوى« بكيفية رياضية لا تعرفها اللسانيات الحديثة والمتمثلة في حمل الكلمة بعضها على بعض إذا كانت تنتمي إلى جنس واحد وهذا

[141]– عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، ج 1، ص 326.

[142]– عبد الرحمن الحاج صالح " أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية"، ص 34.

عمل رياضي يسمى الآن بتطبيق النظير على النظير وبذلك تبرز البنية التي تجمع كل هذه الكلمات المحمولة بعضها على بعض»[143] فالقياس بين هذه الوحدات يتم بعملية رياضية لا تعرفه اللسانيات الغربية، فالكلم هو المستوى الذي تتدرج فيه العناصر الدالة على المعنى الإفرادي.

مستوى الدوال: هو نتيجة تسلسل الحروف بعضها ببعض وهي على أربعة أشكال:

أ- **المادة الأصلية:** هي المكونة من حروف المعجم مثل ض- ر- ب...

الوزن والصيغة: هي تلك القوالب التي تفرع فيها المواد الأصلية.

ب- **حروف المعاني:** هي مجموع الأدوات التي تدخل على الاسم والفعل فتعطيهما معنى إضافيا غير معناها الأصلي أو تقوم مقامهما من حيث المعنى والإفادة فهي كلمة محسوسة بنيت بناءا لازما وظيفتها تخصيص دلالة الأسماء والأفعال، وقد تقوم مقام الأسماء والأفعال من حيث المعنى والإفادة، فتعدّ في أحد هذين القبيلين إلا أنّها تبنى بناءا لازما كالأدوات الأخرى ذلك مثل الضمير واسم الإشارة والاسم الموصول»[144]

ج- **العلامة العدمية:** يتحدّد موضع كل عنصر داخل المثال إلا أنّه في بعض الحالات يخلو الموضع من اللفظ أو العنصر اللغوي الذي يحقق الكلام فخلو الموضع هو ما يسميه عبد الرحمن الحاج صالح بالعلامة العدمية فهي العلامة التي تختفي في موضع لمقابلتها

[143]- عبد الرحمن الحاج صالح، المرجع السابق، ص 34.

[144] - المرجع السابق، ص 34.

لغيرها من العلامات الظاهرة في موضع آخر وذلك كالمفرد والمذكر التي لهما علامات غير ظاهرة بالنسبة للجمع المؤنث وقد رمز لها بـ Ø فإنّ المؤنث له علامة غير ظاهرة في المذكر وهي تاء التأنيث مثل: ذهبت – ذهب Ø وقد سماه النحاة القدامى بترك العلامة « وتتجلى عند مقابلة القطع اللغوية بعضها ببعض»[145] كما في المثال السابق.

د- مستوى الحروف: ويقصد به الوحدات الصوتية، إذ تتركب الصفة مع المخرج لتعطينا حرفا من حروف اللغة العربية فـ « الحرف في الوضع هو جنس من الأصوات وليس صوتا محصلا معينا فالجيم كعنصر لغوي له وظيفة وهي أن تتمايز معاني الكلم بوجوده أو عدمه، وهو عنصر صوري، يؤديه المتكلمون بكيفيات مختلفة، وكل كيفية تنتج صوتا واحد معيّنا مغايرا إلى حدّ ما لأصوات الجيم التي تنتجها الكيفيات الأخرى»[146] وهذا يجعلنا نستنتج أنّ حد الحرف حسب عبد الرحمن الحاج صالح يكون كالآتي:

الحرف = المخرج + الصفة

فلكل حرف صفات مميزة ومخرج ينتج منه، لهذا فإنّ أدنى المستويات جميعا تحت اللفظة هو مستوى الصفات المميزة للأصوات.

[145] – خولة طالب الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، ص 96.

[146] – عبد الرحمن الحاج صالح، المرجع السابق، ص 39.

*** أمّا المستويات التي توجد فوق اللفظة:**

مستوى أبنية الكلام: هو مستوى أعلى من مستوى اللفظة إذ يقول عبد الرحمن الحاج صالح: « كل لفظة أصلا كانت أم فرعا تعتبر كأقل ما يمكن أن ينطق به مما يصلح أن يكون مبنيا على اسم آخر أو فعل أو مبنيا عليه اسم آخر أو فعل فهذا هو المقياس الذي يبنى عليه بقطع هذه الوحدات (الاسم والفعل واللفظة)؛ أي في مستوى تركيب الكلام، ثم هذه الوحدات التي ليست حروفا صوتية ولا كلما ولا كلاما تاما تنتظم بدورها في مستوى أعلى مما قد مرّ، وهو مستوى البناء بين هذه الألفاظ التي هي مجموعات من الكلم الموصول بعضها ببعض».[147] فالنحاة المتأخرون « لم يفرقوا بين التركيب بمعنى البناء الذي نجده في مستوى اللفظة وبين التركيب الذي يحصل في مستوى أعلى من اللفظة، ففي هذا المستوى (أبينة الكلام) يبحث عن المثال المجرد الذي يبنى عليه أقل الكلام وذلك بحمل كلام على آخر من جنسه»[148] فالتركيب في مستوى أبنية الكلام ليس مجرد تركيب للكلم بل يتجاوزه إلى مستوى العامل.

[147]– عبد الرحمن الحاج صالح، أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرسي اللغة العربية، ص 35– 36.

[148] – بشير ابرير "أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة، ص 09.

قائمة المصادر والمراجع:

– أبو عمرو بن عثمان بين قنبر (سيبويه)، الكتاب، ج1، تحقيق عبد السلام هارون، دار العلم، القاهرة: 1966،

– أحمد حساني، مباحث في اللسانيات، منشورات كلية الدراسات الإسلامية العربية، دبي 2013، لطبعة الثانية

– أحمد مومن اللسانيات، النشأة والتطور، ط 2، ديوان المطبوعات الجامعية – الساحة المركزية – بن عكنون – الجزائر 2005.

– أندري مارتيني، وظيفة الألسن وديناميتها، ترجمة ناذر سراج، دار المنتخب العربي للنشر والتوزيع، بليروت، لبنان، ط 1، 1996.

ابراهيم السعافين وعبد الله الخياص، منهاج تحليل النصّ الأدبي. ط1، منشورات جامعة القدس المفتوحة 1993.

– ابراهيم أنيس، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو، الطبعة الثالثة، 1999.

– إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية مكتبة ،الأنجلو المصرية، ط 5 ، 1975.

– ابن منظور: لسان العرب، مادة وظف

– باسل زيدان، محمد غوادره، زياد غانم، عزمي الأخرس، كايد شحادة ...: المعاني الجامع: ط 1، مادة درس.

– بشير إبرير " أصالة الخطاب في اللسانيات الخليلية الحديثة" مجلة العلوم الإنسانية، ع 07، جامعة محمد خيضر بسكرة، فيفري 2005، ص09.

– البنائية بين العلم والفلسفة «مجلة أقلام" – عدد 4 س13 – جانفي 1978.

– بودلعة حبيبة العماوي، النظرية الخليلية الحديثة وكيفية توظيفها في تدريس اللغة العربية – المركب الاسمي أنموذجا– رسالة ماجستير، الجزائر: 2001– 2002.

– بوقرة نعمان، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، منشورات جامعة بأجي مختار، عنابة، الطبعة الأولى، 2006.

– تمام حسان: اللغة العربية: معناها ومبناها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط 1، 1973.

– التواتي بن التواتي، المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث، ط 2، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012.

–الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح محمد سيد رضا، دار المعرفة بيروت، د ت.

– حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي، دراسة في الفكر اللغوي العربي الحديث، ص 122-123.

– خولة الإبراهيمي، مبادئ في اللسانيات، دار القصبة، الجزائر، 2002، ط 1.

– سليم بابا عمر وبائي عميري، اللسانيات العامة الميسرة (علم التراكيب) الجزائر، 1990

– سالم يفوت، مفهوم الواقع في التفكير العلمي المعاصر، منشورات كلية الأدب – الرباط – د.ت

– شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع – لبنان – الطبعة الأولى –2004.

– عبد الرحمان حاج صالح، مدخل إلى علم اللسان الحديث، مجلة اللسانيات، المجلد 2، عدد 1 الجزائر.

– عبد الرحمن الحاج صالح، "أثر اللسانيات في النهوض بمستوى مدرّسي اللغة العربية " مجلة اللسانيات، ع 4، معهد العلوم اللسانية والصوتية، 1973.

– عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ج 1.

– عبد الرحمن الحاج صالح: "العلاج الآلي للنصوص العربية والنظرية اللغوية " مقال غير منشور.

– عبد الرحمن الحاج صالح، "منطق النحو العربي والعلاج الحاسوبي للغات".

– عبد الرحمن الحاج صالح، "المدرسة الخليلية والدراسات اللسانية الحالية في العالم العربي، مقال غير منشور.

– عبد الرحمن الحاج صالح، دراسات في اللسانيات العربية، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ج 2.

– عزوز، المدارس اللسانية أعلامها مبادئها ومناهج تحليلها للأداء التواصلي جامعة وهران.

فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، تر يوئيل يوسف، دار آفاق عربية، بغداد.

– فاطمة الطبال بركة، النظرية الألسنية عند رومان جاكبسون، دراسة ونصوص، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط 1، لبنان، 1993..

– كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، د ط، 2000.

– محمد صاري، "المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية" مجلة علوم اللسان وتكنولوجية، ع 10، مركز البحوث العلمية لترقية اللغة العربية، الجزائر 2005.

– مجمع اللغة العربية: معجم الوسيط، ط 4، مادة درس.

– ميشال زكريا، علم اللغة الحديث «المبادئ والإعلام، لمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الثانية ،1983.

-Abderrahmane Hadj Salah, Linguistique Arabe et linguistique générale, Tome2,

-Dictionnaire critique de la sociologie: Baymond Boudon et François Bourricoud

ترجمة سليم حداد: ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر– ط 1، 1986.

–Maingueneau, D: Nouvelles tendances en analyse du discours. Paris, Hachette, 1987.